محمد يوسف النجرامي

رسالة ماجستير بإشراف الدكتور أحمد شلبي
رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة

العلاقة السياسية والثقافية

بين الهند والخلافة العباسية

دار الفكر
بيروت - لبنان

محمد يوسف النجرامي
رسالة ماجستير باشراف الدكتور أحمد شلبي
رئيس قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بجامعة القاهرة

العلاقة السياسية والثقافية

بين الهند والخلافة العباسية

دار الفكر
بيروت - لبنان

العلاقة السياسية والثقافية

بين الهند والخلافة العباسية

محمد يوسف النجرامي

رسالة ماجستير باشراف الدكتور أحمد شلبي

رئيس قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بجامعة القاهرة

دار الفكر

الطبعـــة الاولى

١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

منذ اكثر من ثلاث سنوات جاء الى كليتنا طالب هندي مسلم ، به صفاء الهند ، وسماحة الإسلام ، هو الطالب : محمد يوسف النجرامي ، وكان هذا الطالب مبعوث جامعة لكنوه للقيام بدراسات عليا في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، وكان حاصلاً على درجة الماجستير من جامعة لكنوه ، ويرغب في التسجيل لدرجة الدكتوراه ، ولكن القوانين المعمول بها في جامعة القاهرة ألزمته ان يعد رسالة للماجستير هنا اولاً ، وأعفته فقط من السنة التمهيدية ، وقبل ذلك بيسر وسهولة ، وبدأ يعمل تحت اشرافي واتفقنا على أن يكون موضوع رسالته هو :

« العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية » .

وبدأ الطالب يدخل في رسالته بجد رائع ، وألزمته أن يقوم بمجموعة من البحوث حول موضوعات مختلفة فاستجاب ، وأبدى مثابرة وصبراً وحباً للعلم ، وكانت الأيام تمر ، فازداد إحساساً بأن الطالب : محمد يوسف النجرامي سيحقق في عمله نتائج باهرة ، وسيحقق لبلاده ودينه في المستقبل أملاً كبيراً .

ويوماً بعد يوم كان الطالب يزداد نضجاً وإقبالاً على عمله ، وقد راجع مجموعة طيبة من المراجع العربية والاردية والانجليزية ، واستطاع أن يخرج رسالة لها في المجال العلمي وزن طيب .

وكان سروري يتزايد من يوم إلى آخر بارتباطي بهذا الطالب ، فالهند لها

مركزها في التاريخ ، ووزنها في الفكر الثقافي ، ومكانها في عالم اليوم ، وكنت أحس بفخر أن أسهم عن طريق توجيه هذا الطالب ومساعدته في نهضة الهند ولو بقدر قليل .

وأتم محمد يوسف النجرامي عمله في الوقت المحدد وقدم رسالة للمناقشة ، – واستطاع أن يجيب بلباقة وكياسة عن الأسئلة التي وجهتها له اللجنة التي عينت لمناقشته ، ومن هنا كانت جلسة المناقشة جلسة علمية رائعة مجدية ، واقترحت اللجنة أن يمنح درجة الماجستير بتقدير « ممتاز » ، تقديراً لجهده ولما حصل عليه من نتائج طيبة في بحثه .

ان عمل هذا الطالب معي لم ينته بعد ، فقد سجل موضوعاً للاعداد لدرجة الدكتوراه، ولكن الشوط الذي انتهينا منه كان شوطاً طيباً ، ضمن له السير للشوط التالي ، ولهذا فانه ليسرني أن أقدم رسالته للقراء من مختلف الجنسيات، وأني أطمع أن يجدوا في هذا السفر متعة تاريخية وحضارية ، ورباطاً جديداً يربط بين بلادنا العربية وشبه القارة الهندية ، وأدعو له بالتوفيق في عمله الجديد، وبالتوفيق في خدمة دينه ووطنه فيما يستقبل من الزمان .

دكتور أحمد شلبي

استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

بجامعة القاهرة

تحريراً في ١٩٧٦/٨/١٤

المقدمـــة

قبل أن أتحدث عن اختيار هذا الموضوع أرى من الواجب أن أعترف بأن الفضل في ذلك يرجع إلى استاذي الجليل الدكتور أحمد شلبي فهو الذي شجعني على اختيار موضوع يتعلق بالهند ، ومن ثم فقد وقع اختياري باديء ذي بدء على موضوع لرسالتي وهو (الجزية في الاسلام) ولكن أستاذي الكبيـر أشار علي بأن أختار موضوعاً آخر يمكنني أن أقدم فيه شيئاً جديداً ولكنني لاحظت بعد ذلك أن هذا الموضوع مطروق ومدروس ومن الصعب فيه باتيـــان شيء ذي بال ولذلك فقد عدلت عن هذا الموضوع إلى الموضوع الجديد الذي نحن فيه الآن.

كنت في البداية متردداً في اختيار الموضوع لأنه كان في اعتقادي أنه لا يمكنني أن أعثر شيئاً في المراجع العربية يساعدني فيما أنا فيه والمراجع الهندية ينـــدر وجودها في مصر — وفي خلال إعداد خطتي للرسالة اهتديت إلى أشياء كثيرة مبعثرة هنا وهناك في ثنايا الكتب العربية .

وثمة سبب آخر لاختيار هذا الموضوع هو وجود دراسات سابقة في هـــذا المجال ولو أنها ضئيلة جداً فقد سعى بعض الكتاب الهنود سعيـاً مشكوراً إلى كتابة بعض المقالات عن العلاقات العربية والهندية إلا أنها في جملتهـــا لم تكن منظمة أو بمعنى أدق لم تكن هناك دراسة أكاديمية .

ومن المعروف أن العلاقات بين الهند والعالم العربي قديمة قدم التاريخ نفسه— وذلك يحتاج إلى دراسة أكاديمية ولكننا مع الأسف الشديد لا نرى شيئاً كثيراً في هذا المجال .

وعلى كل فقد اخترت هذا الموضوع ملتمساً في ذلك أن يملأ جزءاً من هـــذا

الفراغ الكبير ، ولست مدعياً لنفسي انني قطعت شأواً بعيداً أو بلغت أوج الكمال وغاية ما يمكنني أن أقرره في هذا الصدد أنني بذلت قصارى جهدي لأخطو خطوة على درب هذه الدراسة .

وفيما يتعلق بمصادر هذا البحث فقد اعتمدت وأنا بصدد اعداده إلى مصادر تنتمي إلى خمس لغات وهي بالترتيب العربية ، والاردية ، والفارسية ، والانجليزية ، والهندية .

وفي المراجع العربية كان اعتمادي على كتب التاريخ والرحلات والجغرافيا والأدب ولكنه اعترضني في هذا السبيل مصاعب جمة في تحديد الأماكن والأعلام كما أن جميع هذه المراجع باستثناء البلاذري على لا تتحدث عن الهند بشكل محدد ودقيق .

محمد يوسف النجرامي

كلمة شكر

اننى ممتن لأستاذي الجليل الدكتور أحمد شلبي غاية الامتنان ولا يمكنني أن أفي لشكره حقه فقد تجشم معي في اعداد هذا البحث مشاق كثيرة ومصاعب جمة كما لا يمكنني أن أنسى أنه مع مشاغله العديدة في مضمار خدمة الدين والعلم والتاريخ كان دائم الترحيب بي وفي كل الأوقات وانه لموضع فخري واعتزازي بأن اسمي في هذا الجهد المتواضع قد اقترن باسم هذا المؤرخ الجليل والعالم الكبير كما انني أشكر كل أولئك الذين مدوا إلي يد المساعدة في هذا البحث ولا سيما المعيدون في القسم بكلية دار العلوم وأخي الكبير الأستاذ عبد الباري النجم الذي بذل من جهده ووقته الشيء الكثير .

كما لا أنسى فضل مصر التي نهلت من منابعها والتي يعتبرها مسلمو شبه القارة الهندية قلعة الإسلام و كعبة العلم ، وأدعو الله مخلصاً أن يقيها كل مكروه ويطهرها من دنس الغاصبين .

تمهيد

جغرافية الهند

جغرافية الهند

قبل أن أدخل في الموضوع يجدر بي أن أكتب نبذة عامة عن جغرافية الهند ثم جغرافية السند بصفة خاصة لأن الحكومات الإسلامية الأولى قامت في السند كما سنوضح هذا في الفصول التالية . بعد ذلك أبين العلاقات التاريخية التي قامت بين الهند والعرب قبل العصر العباسى بايجاز لأن هذا سيوضح عمق العلاقات بين الشعبين العريقين .

الهند :

اختلف المؤرخون في تسمية أصل هذه البلاد فمنهم من نسبها إلى الإله (اندرا) إله الهند القديم [١] ومنهم من ردها إلى السند الذي كان يعرفه الفرس القدماء باسم (هندهو) أي النهر جرياً على عادتهم في إبدال السين السنكرتية بالهاء [٢].

وأياً ما كان الأصل في كلمة (الهند) فاننا نعني بها البلاد الشاسعة التي يحدها من الشمال سلسلة جبال الهملايا ومن الغرب جبال هندو كوش حيث تقع افغانستان وإيران ثم تمتد الهند إلى الجنوب في شبه جزيرة يقع بحر العرب في غربها وخليج البنغال في شرقها وسيلان في طرفها الجنوبي ويتجه الإقليم الشمالي منها إلى الشرق حتى جبال آسام [٣] .

تبلغ مساحة الهند ١٫٢٦٤٫٩٠٩ ميلاً مربعاً ويبلغ امتدادها من الشمال إلى

---

(١) جوستاف لوبون : حضارات الهند ص ٢٥ .
(٢) سليمان الندوى : مقالات السيد ص ٧ (باللغة الاردية) .
(٣) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند .

نحو ٢٠٠٠ ميل ومن الشرق إلى الغرب بنحو ١٨٥٠ ميل وإذا ما قارنا مساحتها بمساحة باقي الدول كان ترتيبها الرابعة بين الدول الكبرى في العالم [١] .

المناخ :

توجد في الهند ثلاثة فصول مناخية رئيسية وهي الفصل البارد الذي يمتد فيما بين شهري اكتوبر ومارس ، والفصل الحار من مارس إلى يونيه ثم فصل الأمطار ويمتد من يونيه إلى أكتوبر ، ولكن مع هذا فقد جرى عرف الباحثين في مناخ الهند إلى تقسيم الهند أساساً إلى فصلين هما :

١ – فصل الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ويشتمل على :

(أ) فترة المناخ البارد في شهري يناير وفبراير .

(ب) فترة المناخ الحار وتمتد من أوائل مارس إلى أواسط يونيه .

٢ – فصل الرياح الموسمية الجنوبية ويضم :

(أ) موسم الأمطار من منتصف يونيه حتى منتصف سبتمبر .

(ب) موسم الرياح الشتوية يمتد من منتصف سبتمبر حتى أواخر ديسمبر [٢] .

ويعتبر شهر يناير أبرد الشهور في السنة جميعاً غير أن درجة الحرارة تزداد بصفة عامة كلما اتجهنا جنوباً ، فمتوسط الحرارة في يناير في بشاور يقل عن ٥٠°م ويصل في النصف الشمال من سهول البنجاب إلى ٥٥ف (١٧°) وفي بنارس إلى ٦٠° ف (١٥°) ويكون النهار في العادة صحواً دافياً إلى درجة لا بأس بها ولكن الليل يكون بارداً وربما تكون فيه الصقيع ، وفي مدراس تكون درجة الحرارة أعلى كثيراً من مدن الشمال فتصل إلى ٧٥°ف (٢٤°م) وينعدم الصقيع أو يكاد وهذا هو الحال أيضاً في كالكوت و كولمبو [٤] .

---

(١) الهند : مكتب استعلامات الهند بالقاهرة ص ١٤١ .

(٢) دكتور محمد عبد المنعم الشرقاوي بك : ملامح الهند وباكستان ص ٣٧ ، ومجلة الهند ص ١٤٢ .

(٤) دكتور عبد المنعم الشرقاوى : ملامح الهند وباكستان ص ٢٤ .

الأنهار :

يمكن بصفة عامة أن نقسم أنهار الهند إلى مجموعتين رئيستين : أنهار الهند الشمالية ثم أنهار الهند شبه الجزيرية وتختلف المجموعتان فيما بينهما اختلافاً جوهرياً فأنهار المجموعة الأولى تنبع من منحدرات النطاق الجبلي الشاهق الإرتفاع في الشمال أو من بين ثنايا سلاسله العديدة ، ولا يقتصر اتحاد هذه الأنهار على الرياح الموسمية أو أمطارها الفصلية ، بل انها تجد في ثلوج الجبال معيناً لا ينضب يمدها بالماء حينما ينتهي موسم المطر الموسمى ولذلك كانت دائمة الجريان . وإن لم يكن منسوب الماء فيها يختلف من فصل إلى فصل ويغلب على معظم هذه الأنهار انها تحمل كمية كبيرة من المياه وأهم أنهار هذه المجموعة هي :

١) نهر السند ورافده جيلم (Jhalim) وشناب (Chanab) ورافي (Ravi) وبياس (Bias) وستلج (Sutlag) وهذه الروافد تتحد جميعاً لتكون نهر بنشناد (Banchmed) قبل أن يتصل بنهر السند ومن بين النهيرات الهامة التي تتصل بنهر السند من الجانب الأيمن رافده جلجت (Gilgit) الذي يجري في كشمير وكذلك سوات (Swat) وكابول وجميعها مما ينتفع بمياهه في أغراض الري لاستثمار أراضى بشاور (Peshawar) [١] .

٢) نهر الكنج : يقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون عن هذا النهر : يرى الهندوس لكل نهر صفة إلهية لما يحمله من البركات ، وما ينشره من الخيرات في الأمكنة التي يمر فيها ولكنك لا تجد نهراً قدس مثل نهر الكنج [٢] .

ويبلغ طول مجرى نهر الكنج ٢٤٢٠ كيلو متراً [٣] وأهم روافده نهر جمنا (Jumna) الذي ينبع في الهملايا ويتحد مع نهر سردا (Sarda) مكونين نهراً واحداً وهناك أيضاً رافد رايتي (Ratti) وجندك (Chandak) ويلاحظ أن

---

(١) دكتور عبد المنعم الشرقاوى : ملامح الهند وباكستان ص ١٩ .

(٢) جوستاف لوبون : حضارات الهند ص ٢٧ .

(٣) حضارات الهند ص ٤٢ .

الروافد التي تتصل بالكنج على الجانب الأيمن تغلب على مجاريها الصفات المميزة لأنهار شبه الجزيرة بصفة عامة وأهم هذه الروافد نهر سن (San) .

٣) نهر برهما بوترا ويحمل على امتداد مجراه الطويل أسماء مختلفة فيعرف باسم نهر تسانبوا (Tasanpo) وهو يجتاز هضبة التبت ثم باسم نهر برهما بوترا ثم يطلق عليه اسم نهر ديهانج وهو يعبر آسام حتى يتصل بنهر الكنج .

أما أنهار المجموعة الثانية وهي أنهار شبه جزيرة الدكن فتعتمد اعتماداً كلياً على مقدار ما يصيب منابعها من أمطار الرياح الموسمية ولذلك كانت مجاريها في فصل انعدام المطر جافة أو شبه جافة ومن ثم كانت صلاحيتها للملاحة معدومة في هذه الفترة (١) .

أما حاصلات هذه البلاد فكثيرة جداً اعتنى العلماء بجمع أنواع نباتها وأشجارها فكانت أكثر من ثمانية آلاف نوع من النبات وأربعمائة وسبع وخمسين نوعاً من الشجر وما زالوا يكتشفون في آجام البلاد ورياضها فمن حاصلاتها الحنطة والشعير والذرة والأرز والعدس بأنواع مختلفة والحمص وغيرها ولا سيما الأرز الذي يذكرون عنه سبعاً وعشرين صنفاً ومنها قصب السكر والقطن والتبغ والتوت والنارجل والنخل والخيزران والخشخاش الذي يؤخذ منه الأفيون والشاي والتبول وهو المعروف في الهند باسم (البان) يمضغون أوراقه وشجره يشبه العنب غير انه لا ثمر له .

قال الشيخ أحمد بن علان :

لطائف الهند ثلاث أتت	الأنب والنرجس والبان
قال لي الخان نسيت النساء	والحق ما قاله الخان

ووصف المسعوي البتول في تسعة قرون فقال : تنبت أرض الهندورقايسمى

(١) دكتور عبد المنعم الشرقاوي : ملامح الهند وباكستان ص ٢٠ .

(البتول) فاذا مضغوه مضيفين اليه الجص والفوفل تحمر الأسنان كأنها حبات الرمان ، ويمتليء الفم بالرائحة الطيبة ويفرح القلب [1] .

سكان الهند وحضارتهم القديمة :

والهند مركز من مراكز الحضارة القديمة في العالم وهي في هذا تضارع مصر والصين وآشور وبابل ولكن حضارة الهند التي سبقت العهد الآري ظلت غير معروفة حتى أظهرت الاكتشافات الحديثة مدى الرقي الذي عرفته الهند في الشؤون المعمارية والزراعية والاجتماعية قبل الميلاد وبحوالي ثلاثة آلاف عام، أي قبل الغزو الآري بحوالي الف وخمسمائة عام [2] .

ولا يمكننا أن نعرف شيئاً كثيراً عن السكان الأصليين للهند قبل الغزو الآري ورغم هذا فقد قامت هناك حضارات قديمة التي سبقت الآريين وهي حضارة « موهنجودارو » وحضارة حاربا (Harpa) وقد أولت هاتان الحضارتان عناية كبرى إلى النهوض بالوسائل المدنية والحضارية ونظموا الطرق تنظيماً جديداً يتلاءم مع المدنية التي بلغتها الهند آنذاك [3] .

كان الهنود في حضارتي (موهنجوادارو) وحاربا من السكان الأصليين للهند وعندما انتهت هاتان الحضارتان الأصليتان للهنود في ٢٣٠٠ ق م تقريباً حتى نزح الآريون إلى الهند واستولوا على المناطق الشمالية الواقعة بين نهري الهند الجنجا والجمنا ثم استولوا على البلاد كلها ونشروا فيها حضارة عريقة خالدة لا يزال لها أثر حتى اليوم .

حكم الآريون الهند وغرسوا فيها عقائدهم وأفكارهم وجلبوا معهم لغة جديدة سميت في الهند فيما بعد باللغة (السنكريتية) التي كانت تعتبر من أهم لغات الهند

---

(١) مجلة ثقافة الهند : مارس سنة ١٩٥٤ .
(٢) دكتور : أحمد شلبي : مقارنة الأديان ٤/٢٢ .
(٣) Cattrel Last Cetics B 99

ولكن هذه اللغة غير مستخدمة في يومنا هذا وإنما تدرس في الجامعات الهندية كإحدى اللغات القديمة .

وقد ازدهرت الهند في عصرهم ازدهاراً كبيراً في جميع المجالات ، وفاقت جميع البلدان في آثارها الفكرية الخالدة مثل كتابا (الرجفيدا) الذي سجل آرائهم وعقائدهم وانتصاراتهم فور وصولهم إلى الهند ، ثم الملاحم الهندية الشهيرة مثل (رامايانا) وملحمة (المهابهارتا) والكتب المقدسة مثل (الجيتا) ونظرياتهم المبتكرة في الطب والفلك والرياضيات وما إلى ذلك من المؤلفات التي استفاد منها العرب في العصر العباسي وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد إنشاء الله .

جغرافية السند :

عندما أقام الآريون في وادي السند أطلقوا عليه اسم السند ومعناه في لغتهم (النهر) انهم أطلقوا اسم السند على كل البلد ووصلوا حتى حدود البنجاب ولم يغيروا اسمها وعندما وصلوا الكنج اسموها (آريه ورت) ولكن هذا الإسم لم يحصل على شهرة خارج الهند (١) .

وأطلق الإيرانيون على الهند اسم الهند في لغتهم ولما كان حرف (هـ) هو قريب من الهمزة عند اليونان فقد قالوا (اند) وأصبحت (انديا) عند الرومان ولما كانت الهاء لا توجد في اللغة الانجليزية فلهذا أصبحت (انديا) وفي آسيا كانت الدول الأخرى مثل سام ولنكا وغيرهما يسمونها (اندريا) (٢) .

لا بد لنا أن نلاحظ أن السكان الأصليين في السند كانوا يسمونها السندولكن الدول الأجنبية كانوا يقسمون هذه الدولة قسمين احداهما تسمى السند والأخرى الهندوظل هذا التقسيم قائماً حتى مجيء العرب .

اختلفت حدود السند من عصر إلى عصر فقد كانت للهند حدود عند الفتح

---

(١) Huntar Indian Impire p, No. 99

(٢) أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ١ (باللغة الاردية) .

الاسلامي الآتي من الشمال منابع نهر جهيلم حيث تقع كشمير وفي الشمال الغرب نهر هل مند وفي الجنوب الغربي إيران على حدود السند وأمام الساحل تقع منطقة مكران وفي الجنوب بحر العرب وفي الجنوب الشرقي خليج كي [١].

وحدودها الحالية الآتي : آخر منطقة في هذه الدولة تقع إلى الشمال الغربي من بومباي وفي ناحية الشمال البنجاب وبلوجستان وفي الشرق جودهبور وبهاولبور وفي الجنوب بعض الصحارى وبحر العرب وفي الغرب بحر العرب وبلوجستان [٢].

وتمتد هذه المنطقة في وقت الفتح الاسلامي من خط عرض ٢٣ حتى ٣٥ ومن خط الطول من ٦٢ حتى ٧١ وفي الوقت الحاضر عرض البلد من ٢٣ حتى ٢٨ درجة ٣٠ دقيقة ، والطول ٦٦ درجة ٥٠ دقيقة حتى ٧١ درجة ومن الشمال حتى الجنوب الطول أكثر من ٣٦٠ ميل والعرض من الشرق إلى الغرب ١٧٠ ميل [٣].

تنقسم أرض السند جزأين شمال السند وجنوب السند ويضم شمال السند مدينة سهوان (سيوستان) القديم أعلى الافغانستان وحتى حدود سرمد وجنوب السند من مدينة سهوان وحتى أسفل المحيط ولكن في هذه الأيام المنطقة الشمالية هي سرد والمنطقة الشرقية صحراوية والمنطقة الغربية بسبب الجبال تسمى (كوهستان) والمنطقة المتوسطة تسمى المنطقة الميدانية [٤].

الأنهار :

ان الأنهار اعطت لأرض السند رونق وإبداع حيث يصل اليها مياه الأنهار وتنتشر الخضرة وأهم هذه الأنهار نهر السند وهو ينبع في التبت ومن جبال كيلاش ويجري خلال كشمير والبنجاب ومنطقة سرمد حوالي مائة والف ميل

---

(١) بشر احمد خان : جغرافية سنده ص ٦ (باللغة الاردية) .
(٢) اعجاز الحق قدوس : تاريخ سنده ص ٦ (باللغة الاردية) .
(٣) أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ٣ (باللغة الاردية) .
(٤) اعجاز الحق قدوس : تاريخ سنده ص ٢ (باللغة الاردية) .

ويتفرع النهر إلى عدة فروع قبـــل أن يصب في المحيط وله ١١ مدخل وكلها صالحة الملاحة [١].

ويخرج من نهر السند عدة فروع عظيمة منها :

١) نارو الشرقي وهو يخرج من الشاطىء الشرقي لنهر السند وبالقرب من مدينة روبراى وهو يسقي محافظة جووبور ثم ينتهي في صحراء كجى .

٢) نارو الغربي : يخرج من محافظة لاثركانه ويصب في بحيرة منجهر .

٣) كهار : يخرج من نهر السند ويذهب إلى الجانب الغربي .

٤) بهليل : هذا الفرع يتفرع من قرب حيدر آباد ويذهب إلى صحراء كجى .

٥) نيجاري جمائرو ,بكهائرو :

هذه الفروع الثلاثة تجري في محافظة كراتشي [٢] .

وفي هذه المنطقة ثلاثــة عيون «١» عين منكعابيير «٢» عين بيير تخرج من الأرض وماءها ساخن «٣» عين لكى تبعد عن محطة لكى بحوالي ٢٠ ميـــلاً وماءها ساخن [٣] .

المواني ء :

دابيل كان أعظم ميناء في السند قديماً وكانت أحسن مدينة في السنــد كلها وكل السفن الأجنبية ترسو فيها ولكن هذا الميناء غير معروف اليوم .

لاراية : كانت أيضاً أعظم ميناء في الزمن القديم .

تهت : انها كانت ميناء ولكن طغى عمران كراتشي على هذا الميناء وقضى

---

(١) أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ٥ (باللغة الأردية) .
(٢) بشر احمد خان : جغرافية سنده ص ١ (باللغة الاردية) .
(٣) أبو ظفر ندوي : تاريخ سنده ص ٦ (باللغة الاردية) .

عليه ولكن ميناء كراتشي أشهر ميناء في منطقة السند اليوم وبـه ترسو السفن التجارية للدول الأخرى ، وفي بداية أمرها كانت قرية صغيرة ولكن جعلهـــا الانجليز ميناء وتعتبر الآن كراتشى من إحدى كبار المدن في شبه القارة الهندية[1].

الأرض :

أكثر أرض السند صحراء غير قابلة للزراعة ما عدا منطقة شكار لور ولركانا فهما فقط قابلتان للزراعة ومن الشمال إلى الجنوب جزيرة طويلة ورفيعة ويجري نهر السند على احدى جانبيها ويجري ناروا الغربية على الجـــانب الآخر ، وهو كفرع يخرج من نهر السند وبعد مائة ميل يعود اليها مرة ثانية ، تعتبر هذه الأرض جزيرة خصبة لأنها محاطة بالنهرين وأكثر المناطق صحراوية وتكثر بها التلال[2].

ويعتبر الزط واليد أقدم السكان في هذه المنطقة عند الفتح الاسلامي [3] .

كانت اللغة الموجودة قبل الفتح الاسلامي هي السندية ومع هذه اللغة القديمة كانت توجد اللغة العربية والفارسية ثم أصبحت اللغة السندية تكتب بالحروف العربية [4] .

---

(١) أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ٧ (باللغة الاردية) .
(٢) أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ٩
(٣) أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ١١
(٤) بشر احمد خان : جغرافية سنده ص ٨ .

العلاقات بين الهند والعالم العربي فيما قبل الاسلام وفي صدر الاسلام

قامت بين الهند والجزيرة العربية علاقات واسعة قبل الإسلام واستمرت متصلة الحلقات في عصر صدر الاسلام والعصر الأموي وسنفرد لهذه العلاقات حديثا موجزاً نذكر فيه أهم مظاهر هذه العلاقات أو الصلات قبل أن نأخذ في تفصيل العلاقات في العصر العباسي .

وكان لهذه العلاقات مظهران :

الأول : العلاقات التجارية .

الثاني : العلاقات الدينية .

العلاقات التجارية :

يقول المؤرخون أن العلاقات التجارية بين الهند والعرب كانت قائمة منذ زمن بعيد فقد كان التجار العرب يسافرون إلى السواحل الهندية للتجارة قبل الاسلام ومنذ ذلك الوقت بدأ يظهر أثر البيئة العربية في السواحل الهندية ، كما تأثر العرب بالحضارة الهندية وقد لعبت التجارة بما تضمنته من طرق تجارية وأسواق وبضائع في تعميق الصلة بين العرب والهنود ، وسنتحدث فيما يلي عن الجوانب المختلفة التي تتصل بالنشاط التجاري بين العرب والهنود .

الطرق التجارية :

عندما نلقي نظرة على التجارة العالمية القديمة نجد أن العرب كانوا مشغولين

بالتجارة وان قوافلهم التجارية كانت نشطة بين الساحل اليمني وبين شواطىء الهند ومن الساحل اليمني كانت تنقل البضائع بالطريق البري على طول ساحل البحر الأحمر إلى الشام ومصر وكانت تنقل من هناك عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا [١] .

يقول الشيخ السيد سليمان الندوي « ان العرب كانوا يسيرون من مدن مصر والشام على ساحل البحر الأحمر براً إلى الحجاز ثم إلى اليمن وبعد ذلك كانوا يبدأون رحلتهم بالبواخر الشراعية وان بعضاً منهم كانوا يذهبون إلى افريقيا وبعضاً منهم كانوا يذهبون إلى ساحل بلوجستان تيز أو ميناء ديبل كراتشي عن طريق حضرموت وعمان والبحرين » [٢] .

وهناك طريق آخر للتجارة عبر الخليج العربي وكان هذا مفتوحاً دائماً للعرب كانوا يصلون إلى السواحل الهندية ومن هناك يصلون إلى الصين [٣] .

وقد أشار جوستاف لوبون عن طريق آخر حين قال « فكانت تصل بواسطة القوافل أعظم مراكز الشرق كسمرقند ودمشق وبغداد وغيرها بالهند مارة ببلاد الفرس وكشمير » [٤] .

الأسواق العربية للبضائع الهندية:

قبل أن يفتح العرب العراق في سنة ٥١٤ كان ميناء أبله معروفاً عند أهل الفرس للبضائع الهندية وكان هذا الميناء يقع قريباً من البصرة وقام به نشاط تجاري كثير جداً .

بعد فتح هذا الميناء كتب عتبة بن غزوان رسالة إلى عمر (رض) يذكر فيها

---

(١) Alpistan History of India PN 35

(٢) سليمان الندوي : مقالات ص ٧ باللغة الاردية .

(٣) سليمان الندوي : مقالات ص ٧ باللغة الاردية .

(٤) جوستاف لوبون : حضارات الهند ص ٢٣٧ .

أهمية تلك الميناء « أما بعد فإن الله وله الحمد فتح علينا الابله وهي مرقى سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين وأغنمناذهبهم وفضتهم وذراريهم وأنا كاتب اليك بيان ذلك انشاء الله » (١) .

بعد أبله نجد ظفار وحجار لها أهمية خاصة للبضائع الهندية منذ زمن قديم ، يقول الاستاذ أحمد أمين : وفي شرق حضرموت ظفار وهي من قديم مصدر للتوابل والطيب وبخور المعابد ولا يزال يرسل فيها إلى الهند » (٢) .

يقول ابن خردازبه عن ميناء عدن « وبها العنبر والعود والمسك ومتاع الهند والسند والصين والحبشة وفارس والبصرة وجدة وقلزم » (٣)

يؤكد الدكتور : أحمد أمين أهمية الواردات الهندية في تجارة اليمن بقوله : « وكانت التجارة قديماً في يد اليمنيين وكانوا هم العنصر الظاهر فيها فعلى يدهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار وواردات الهند إلى الشام ومصر » (٤) .

ان اليمن كان لهانشاط خاص في التجارة وكانت تعتبر مركزاً هاماً للنشاط التجاري ولكن عندما تدخل الروم والفرس في تلك المنطقة بدأت التجارة تضعف (٥) ولكن طبيعة أهل اليمن التجارية دفعتهم إلى إيجاد الطرق البرية تاركين الطرق البحرية ، وكان هذا الطريق البري يبدأ من حضرموت ويمر بساحل البحر الأحمر حتى يصل إلى مكة المكرمة ولذلك نرى أن مكة قد

---

(١) أبو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال تحقيق عبد المنعم عامر ص ١١٧ .

(٢) دكتور أحمد أمين : فجر الاسلام ١/٣ .

(٣) ابن خردازبه : المسالك والممالك ص ٦١ .

(٤) دكتور أحمد أمين : فجر الاسلام ١/١٣ .

(٥) يرجع سبب ذلك الضعف إلى صراع بين الدولتين البيزنطية والفارسية على أنه من المعروف أن اليمن كانت تحت سيطرة البيزنطيين بواسطة الأحباش من سنة ٥٢٥م إلى سنة ٥٧٥م ، وبعد ذلك دخلت اليمن تحت سيادة الفرس .
دكتور ابراهيم العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ١٤ ، ١٦ .

أصبحت سوقاً كبيرة ذات أهمية بين مصر والشام واليمن وان قبيلة قريش قد أسهمت في تلك التجارة إسهاماً كبيراً وان القرآن الكريم قد أشار إلى تلك التجارة « رحلة الشتاء والصيف » .

ذهب بعض الباحثين الهنود إلى أن مكة المكرمة كانت سوقاً كبيراً في ذلك الوقت للبضائع الهندية (١) .

أهم الموانىء لهندية التي كان يستورد العرب منها البضائع :

من أهم الموانىء الهندية المعروفة للتجار العرب ميناء تيز الذي يقع في بلوجستان (٢) ثم ميناء ديبل الذي يقع في السند (٣) ميناء تهانه الذي يقع في كجرات (٤) كوكم ملى الذي يقع في مليبار (٥) .

ابن هرقل كتب عن ميناء ديبل « انه ميناء كبير للتجارة ونجد في هذا الميناء أنواع من التجارة (٦) .

وقال جورج حوراني عن ميناء كولم تلى « ان ميناء كولم تلى مقصد التجار العرب سواء كان للتجارة مع أهل مالابار أو لتزويد السفن العربية بما تحتاج اليه من مؤن خلال رحلاتها الطويلة إلى الصين واستمرت هذه العلاقات التجارية وتقدمت تقدماً مزدهراً في العصر الأموي حتى أصبح لساحل مالابار أهمية اقتصادية كبرى للعرب لأنه كان يمدهم بما يلزمهم من خشب الساج الذي كان يستخدم في بناء السفن » (٧) .

---

(١) (عرب وهند عهد رسالت ميى) باللغة الاردية ص ٣٣ أطهر مباركبورى .
(٢) هي المنطقة الجنوبية الغربية من باكستان .
(٣) مقاطعة في باكستان تقع في الغرب تحدها الهند شرقاً .
(٤) تقع في جنوب الشرق من الهند .
(٥) تقع في جنوب الهند .
(٦) ابن حوقل : كتاب المسالك ص ٢٣٠ .
(٧) يعقوب بكر (مترجم) : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢١١ و ٢٢٦ .

وكان سكان مالابار يجنون من هذه التجارة أرباحاً كثيرة ، وكان ملوكها يحصلون على رسوم الموانيء عدا التحف الغالية والهدايا الثمينة وبذلك فتحوا للعرب أبواب بلادهم ليصدروا ما يشاءون من بضائع وأفكار ومبادىء فتوافدت القوافل العربية على هذه المنطقة وأنشأت جاليات لها في أنحاء سواحل غرب الهند . ومعظم هؤلاء التجار استوطنوا في ساحل بومباي في منطقة تسمى (كوكن) ونزح بعضهم إلى الناحية الشرقية .

ان وجود كلمات هندية في القرآن الكريم كانت نتيجة الاتصالات التجارية التي كانت بين الهند والعرب منذ زمن بعيد ، نحن الهنود نفتخر بأن هناك ثلاثة كلمات هندية قد وردت في القرآن الكريم وهي : مسك « يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك » [١] ، كافور « ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » [٢] ، زنجبيل « ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا » [٢] ، وهكذا وجود بعض الكلمات الهندية في الحديث الشريف والشعر العربي ، كل هذا يشير إلى قدم العلاقات التجارية بين الأمتين ، مثل قول الشاعر :

وزنجبيل عاتق مطيب [٣]

الواردات الهندية للعرب :

ماذا يستورد التجار العرب من الهند ؟

يمكن معرفة هذه الأشياء من قول السائح الذي أخبر عمر رضي الله عنه عن الهند « ان بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر » [٤] .

يفيد من هذا ان التجار العرب كانوا يستوردون الياقوت والجوهرات

---

(١) سورة المطففين آية ٣٥ .
(٢) سورة الانسان آية ١٧ .
(٣) لسان العرب ١١ - ٣١٣ .
(٤) أبو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٢٦ .

والبخور عموماً ، خصوصاً أن البخور الهندى كان معروفاً جداً وان العرب كانوا يستوردونه .

وغير البخور فان النارجيل والعقافير والعاج كانت لها أهمية خاصة وأن التجار العرب كانوا يستوردونها ، ذكر المقدسي « ان التجار العرب كانوا يستوردون من سندان الارز والثياب والنارجيل ومن المنصورة النعال والعاج والعقاقير »[1] .

فقد وصف ابن بطوطة عن النارجيل بقوله « وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأناً وأعجبها أمراً وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما إلا أن هذه تثمر جوزاً وتلك تثمر تمرا وجوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيها شبه العين وداخلها شبه الدماغ »[2] .

كما تحدث عن الفلفل بقوله : « وهي من مزروعات الهند وان الهنود يبيعونه من التجار والعامة ببلادنا »[3] .

ان النرجيل يعتبر من المزروعات الهندية والتي كان أمراء الهنود يبعثونه إلى الملوك المجاورة على شكل هدايا جاء في المستدرك ان أحد ملوك الهند أهدى إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة »[4] .

ذكر ابن خردازبه في كتابه المسالك والممالك الأشياء التي كان العرب يستوردونها من الهند « أقسام العود والصندل والكافور والقرنفل والنارجيل والملابس والفيله ومن سرنديب جميع أقسام الياقوت وكذلك اللؤلؤ والبلور ومن السند

---

(١) المقدسي: حسن التقاسيم ص ٣٢٦ .

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار ١٦٠/١ .

(٣) ابن بطوطة ٢-١١٢ .

(٤) المستدرك ٤ ١٢٥ .

أخشاب القسط والقنا والخيزران »[1] .

ان المؤرخ المسعودي يقول عن جزر الهند « ان التجار يحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب »[2] .

ويذكر أهمية جزر المهارجة بقوله « لا تحصر جنوده ولا يستطع أحد من الناس في أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين وقد حاز هذا الملك أنواع الأفاوية والطيب مما يحمل من بلاده ويبحر من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والكبابة »[3] .

ان مسعر بن مهلهل قد زار جنوب الهند في سنة ٣٢١ هـ وقد وصف مدينة كولم بقوله « وتعمل بها غضائر تباع في بلادنا على أنه صيني وليس كذلك لأن طين الصيني أصلب من طين كولم وأصبر على النار وغضائر كولم لونها أدكن وغضائر سائر الصين أبيض وغيره من الألوان وبها البقم والخيزران والقنا هناك ورقة الساذج الهندي الغزير الوجود لأجل أدوية العين ويحمل اليها أصناف العود والكافور واللبان والعود »[4] .

ان العرب كانوا يستعملون خشب الساج في بناء البيوت وصناعة السفن ، يقول الدكتور حسن أحمد محمود عن هذا بقوله « ان ساحل ملبار كانت له أهمية اقتصادية قصوى عند المسلمين فقد كان مصدر خشب الساج التي كانت بيوت سيراف تبنى به والذي كان يستخدم في صناعة السفن »[5] .

---

(١) ابن خردازبه : المسالك والممالك ص ٧١ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ١-٩٤ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ١-٩٤ .

(٤) القزويني : آثار البلاد ص ٧٠ .

(٥) دكتور حسن أحمد محمود : العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ١٨٣ .

ثانياً : التشابه الفكري بين الشعبين :

فوق العلاقات التجارية التي كانت موجودة وقائمة بين الهند والعرب كانت هناك أيضاً علاقات أخرى مذهبية وعقائدية ، وكان ذلك مما يمثل تقارباً وتجاوباً فكرياً وروحياً بين العرب والهنود إذ كانت عبادة الأصنام ومظاهرها وكما كان تعظيم الكواكب وعبادتها من الأمور التي اشترك فيها الهنود مع العرب وكان ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت الهنود المستوطنين في البلاد العربية على الاندماج ، ان الدارس للتاريخ يرى أن عبادة الأصنام وتعظيم الكواكب كان شيئاً مشتركاً بين الشعبين .

يقول العلامة الشهرستاني « ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات واستعمال الأمور الروحانية »[(1)] .

يقرر هذا الرأي مرة أخرى تحت عنوان « آراء العرب في الجاهلية » : « وقد ذكرنا في صدر الكتاب ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأجملنا القول فيه حيث كانت المقارنة بين الفريقين والمقارنة بين الآمنين على اعتبار خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والغالب عليهم الفطرة والطبع[(2)] .

كان ذلك أمراً مشتركاً بين العرب والهند في البداية ثم راجت بينهما فيما بعد عبادة الأصنام .

ان الباحث للتاريخ يدرك بوضوح ان للهندوس أصناماً مختلفة وانه يوجد في كل بيت صنم يختلف عن الآخر ان المؤرخ أبو الفداء قد لاحظ وكتب عن هذا الصدد « ومنهم عبدة الأصنام وهم معظمهم ولهم أصنام عدة كل صنم لطائفة ويكون لذلك الصنم شكل غير شكل الصنم الآخر »[(3)] .

( ) الشهرستاني : الملل والنحل تخريج محمد فتح الله بدران ١-٦ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ٢-١٢١٩ .

(٣) أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء ١-٩٩ .

نفس هذه الظاهرة نراها عند العرب ، فقد كان لكل قبيلة صنم خاص فمثلاً اللات خاصة لقبيلة ثقيف والعزى كانت تعتبر أعظم صنم عند قريش وسواع لهذيل ويغوث لهمدان ونسر لحمير ويعوق لقبيلة طيء »[1] .

من المعروف ان الهندوس يقدمون الهدايا الثمينة تعظيماً لأصنامهم ويذبحون البقر والشاة عندما ينذرون شيء من الأشياء فهل كان العرب يفعلون مثل هذا الشيء الذي يفعله اخوانهم الهندوس ؟

ان الإجابة على هذا السؤال نجدها في كتاب الدكتور أحمد شلبي ، يقول عن صنم مناة : كانت العرب جميعاً وكانت الأوس والخزرج تذبح له وتقدم الهدايا[2]

بعد هذا انتقل إلى موضوع آخر وهو هل كانت عبادة الأصنام عبادة ذاتية أم أنها تقرباً إلى حقيقة أخرى أما عند العرب فانها لم تكن عبادة ذاتية وإنما كانت في نظرهم وسيلة يتقربون بها إلى الله[3] .

ان الباحث للديانة الهندوكية يدرك بوضوح ان عبادة الهندوس لهذه الأصنام لم تكن ذاتية بل يتوسلون بها إلى حقيقة أخرى وهي ليست واضحة بصورة كاملة في عقولهم ولذلك نرى في الدين الهندوكي طوائف متعددة ومعبودات عديدة.

نرى منهم من يعبد الشمس ومن يعظم النهر الكنجا والجمنا وهناك طائفة أخرى التي تنكس رؤوسها أمام الأفاعي وكذلك عبادة عضو التلقيح معتقدين انه سبب الخلق[4] .

كتب الاستاذ العقاد عن عبادة الهندوس للحيوانات واعتقادهم بأن الله يتجلى في بعض الأحياء فيحل فيه ، أو لأنهم آمنوا بالتناسخ فجاز عندهم أن يكون

---

(١) د . أحمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ١-٧٠ .
(٢) د . أحمد شلبي : المصدر السابق ص ٧٠ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ٧١ .
(٤) د . أحمد شلبي : مقارنة الاديان ٤-٥٠ :

الحيوان جداً قديماً أو صديقاً عائداً إلى الحياة [١] .

ان تعبد المعبودات يشير إلى أن عقولهم حائرة ويحاولون من وراء هذا التعدد أن يدركوا الحقيقة .

ذكرت آنفاً أن العرب كانوا يتقربون بهذا إلى الله أو يمكن أن نقول انها كانت وسيلة إلى التقرب لله نجد هذه السمة عند الهندوس أيضاً إذ يقول الدكتور شلبي عن عبادة الهندوس أن بعضهم يرون في التمثال آلهتهم ويراه آخرون رمزاً للإله [٢] .

الهياكل السبعة للوثنيين العرب والهندوس :

وقد أشار المسعودي إلى الهياكل الوثنية في العالم القديم يخص العرب ببعضها والهند ببعض آخر كما تشترك معهما أمم أخرى .

ان هذه الهياكل السبعة كما يلي :

١ ــ الكعبة في مكة على كوكب زحل .

٢ ــ أصفهان في أصفهان للمجوس .

٣ ــ سومنات في الهند .

٤ ــ لوبهار في بلخ .

٥ ــ بيت غمدان في اليمن .

٦ ــ هيكل الشمس في فرغانة .

٧ ــ هيكل الصين [٣] .

ان العلامة الشهرستاني يقرر نفس الشيء بقوله : « وأما بيوت الأصنام التي

---

(١) الاستاذ عباس محمود العقاد : الله ص ٧٧ .

(٢) د . أحمد شلبي : مقارنة الاديان ٤-٥٠ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ١-٣٧٤ .

كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المبينة على الكواكب السبعة وهي:

١ - بيت فارس على جبل أصفهان .

٢ - معبد الملتان .

٣ - معبد سومنات .

٤ - معبد لوبهار .

٥ - بيت غمدان .

٦ - بيت فرغانة .

٧ - الكعبة [١] .

مشاعر الهندوس نحو الكعبة :

ان هناك جماعة من الوثنيين الذين اعتقدوا أن بناء أو تعمير الكعبة كان على أساس اسم الزحل ولذلك يوجد فيها صفة الدوام والبقاء .

ان المؤرخ المسعودي قد ذكر مثل هذه الأفكار في كتابه مروج الذهب « ذهب قوم إلى أن البيت الحرام وهو بيت زحل وإنما طال عندهم بقاء هذا البيت على مرور الأيام ومعظم في سائر الأعصار لأنه بيت زحل ولأن زحل قد تولاه ولأن زحل من شأنه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا صائر عن التعظيم غير حائل » [٢] .

ان الهندوس من الهند كانوا يؤمنون على هذه الفكرة ويحترمون الكعبة على هذا الأساس لأن النجم الزحل قد يوجد فيه صفة الدوام والبقاء وهذا مظهر من مظاهر القوة وان كل شيء يوجد فيه مظهر القوة يحتل عند الديانة الهندوكية مكانة العبودية والتقديس .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ٢-١٠١ و ١٠٨ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ٢-٢٣٧ .

وصول المسلمين إلى الهند

في صدر الاسلام

ان جنوب الهند كان متصلاً اتصالاً وثيقاً بالجزيرة العربية كما رأينا من قبل منذ أقدم العصور بفضل موانيها فكان لمالابار في ساحل شرقي الهند شرف السبق للتعرف على الاسلام واعتناقه في عهد الرسول ﷺ . وتتحدث المراجع الهندية ان طائفة من العرب المسلمين وفدوا على مالابار في طريق بحثهم عن مكان نزول آدم عليه السلام لما يقال من أنه نزل في الهند أو في سيلان فلما بلغ ذلك ملك مالابار (زيمور) دعاهم اليه واستضافهم وأنزلهم منزلة كبيرة في بلاطه ثم عرف منهم ان نبياً بعث في بلاد العرب ودعا الناس إلى الإسلام وجاء بمعجزات كثيرة ، فتشوق الملك إلى الإسلام وإلى رؤية النبي ﷺ كما آمن به ووزع ثروته في أهله بالعدالة ثم اتخذ طريقه إلى بلاد العرب [١] .

ويقول بعض المؤرخين ان الملك شاهد بنفسه معجزة شق القمر وأمر أن يسجل هذه الحادثة في السجلات الحكومية وعلى حد قول هذه الجماعة من المؤرخين ان الملك لم تتحقق امنيته برؤية النبي ﷺ بسبب وفاته في الساحل اليمني [٢] .

ان هذه الرواية المذكورة ذكرها كثير من المؤرخين الهنود ولا يمكن أن تكون هناك غرابة في الرواية المذكورة حيث ثبت أن العلاقات التجارية كانت

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ٢-٣١١ (بالفارسية) ،

(٢) اطهر مباركبوري : رجال الهند والسند ص ٨٦ واعجاز الحق قدوسي : تاريخ سنده ص ٥٦ .

وثيقة بين الهند والعرب قبل الإسلام ان هذه العلاقات وطيدة إلى حد أن بعض الروايات ذكرت أن أحد ملوك الهند قد قدم هدية إلى الرسول ﷺ وقدذكرها الإمام أبو عبد الله الحاكم في مستدركه « أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة »[١].

ان هذه الرواية تشير على الأقل بأن العلاقات بين الهندوالعرب كانت وطيدة في زمن الرسول ﷺ ولذلك كان هذا الأمر غير مستغرب إلى أن وفداً من المسلمين العرب وفد على الهند في عهد الرسول ﷺ.

وبعد الرسول ﷺ تولى أمور المسلمين ورعى شئونهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي عهده لم أجد ما يشير إلى وجود العلاقات بين المسلمين والهند.

ولكن عندما ندخل في عصر عمر بن الخطاب نرى أن المسلمين اتجهوا إلى بلاد الهند. قبل أن ندخل في هذا الموضوع لا بد لنا أن ندرس الدوافع التي حملت المسلمين أن يتجهوا إلى الهند ونلاحظ في هذا الصدد أن المسلمين لم يقدموا بحملتهم على الهند تعمداً بل كانت هناك أسباباً حملت المسلمين أن يتجهوا إلى أرض الهند.

ان التاريخ يشير إلى أن العلاقات بين فارس والسند قد مرت بمراحل مختلفة فاننا نجد أن العلاقات بينها وطيدة أحياناً ويشوب هذه العلات توتر شديد أحياناً أخرى إلى حد أن أحد القواد الفرس وهو (هرمز) قام بحملته على ساحل الهند واعتقل في هذه الحملة جماعة من الزط وجنّدهم لمقابلة المسلمين وأن القائد (هرمز) قد استخدم الزط ضد خالد بن الوليد رضي الله عنه في حرب السلاسل[٢].

ثم وقعت معركة القادسية سنة ١٦ هـ وان ملك إيران يزدرجرد قد أعد جيشاً لمقابلة المسلمين في هذه المعركة واستنجد من بعض ملوك البلدان المجاورة وكان من ضمنهم ملك الهند.

---

(١) الحاكم: المستدرك ٤-١٣٥.

(٢) اعجاز الحق قدوسي: تاريخ سنده ص ٥٨ باللغة الاردية.

ان ملك الهند قد أعد له كل ما كان في استطاعته ولكن على الرغم من هذا فقد كان الفشل حليفهم .

هذه حادثة أخرى تعرض فيها الهنود للمسلمين بدون أي سبب .

ومن ناحية أخرى فان القراصنة الهنود كانوا خطرا على السفن التجارية التي كانت نشطة بين السواحل العربية والهندية وان بعض المناطق كانت تعتبر تجمعاً هاماً للقراصنة الهنود مثل السومنات وكتشى كما يقول المؤرخ البيروني [1] ولذلك كان لا بد من اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقف هذه العمليات ثم ان هذه العمليات التي قام بها القراصنة كانت دافعاً قوياً للحركات الإسلامية ضد الهند. ولا بد لنا أن نأخذ هذه الحقائق موضع الاعتبار حينما ندرس اهتمام المسلمين بأرض الهند .

وفي عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب بعض الصحابة إلى أرض الهند. ويعطي لنا البلاذري بعض المعلومات في هذا الصدد قائلاً : « ولى عمر بن الخطاب عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة خمسة عشرة فوجه أخاه الحاكم إلى البحرين ومضى إلى عمان فأقطع جيشاً إلى تانة فلما رجع الجيش كتب إلى عمر رضي الله عنه ليعلمه بذلك ، فكتب اليه عمر يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود واني احلف بالله ان لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم ووجه الحكم إلى بروص ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص إلى خور الديبل فلقي العدو فظفر [2] .

ان المؤرخ ياقوت الحموي قال عن عملية ديبل ما نصه : « والديبل من ناحية السند مدينة على ساحل بحر الهند ووجه اليه عثمان بن أبي العاص ففتحه » [3] .

وفي عصر عثمان رضي الله عنه توجه حكم بن عمرو التغلبي إلى مكران [4]

---

(١) البيروني : كتاب الهند ص ١٠٢ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٠٧ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣-٤٨١ .

(٤) تقع حالياً في باكستان .

وكان يحكم عليها الأمير راسل الذي استنجد بأمير السند الذي قدم له كل ما كان في استطاعته ووقعت معركة على نهر هلمند (١) قتل فيها عدد كبير من المكرانيين وكان النجاح حليف المسلمين ، فان رجال السند التقوا مع المسلمين بدون أي سبب واتخذوهم خصوماً لهم . فلما نجح الحكم في هذه المعركة حمل الصحاري العبدى كثير من مال الغنيمة وأبلغ عثمان رضي الله عنه بنجاح المعركة ولما وصل الصحاري العبدي إلى عثمان سأله عن حالة مكران فرد عليه قائلاً : مأوها وشل وتمرها دقل وبصلها بطل إن كان بها الكثير جاعوا وإن كان بها القليل ضاعوا ، فقال عثمان رضي الله عنه أتقول شعراً أم تحدثنا عن حالة مكران ؟ فرد عليه الصحاري العبدي يا أمير المؤمنين ما قلت لا مبالغة فيه . بعد الاستماع إلى هذا الحديث أصدر عثمان رضي الله عنه أمراً بوقف تقدم الجيش الاسلامي في هذه المنطقة . ان هذه الرواية ذكرها المؤرخ البلاذري (٢) .

وصاحب حجج نامة (٣) .

ولكن يقول المؤرخ ابن الأثير ان هذه الحادثة وقعت في عهد عمر رضي الله عنه (٤) .

ولكن أرجح رواية البلاذري على رواية ابن الأثير لأن البلاذري حجة في الفتوح ومتقدم على ابن الأثير .

وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه عين في سنة ٣٨ هـ الحارث بن مرة العبدي قائداً على الحدود الشرقية الذي وصل بجيشه إلى ممر قيقان (٥) وهناك وقعت معركة ضارية بين أهالي قيقان والجيش الإسلامي حيث أحرز

---

(١) من أشهر أنهار أفغانستان ، يقع في الجنوب الغربي منها .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٦٠٧ .
(٣) علي بن حامد بن أبي بكر الكوفي : حج نامة ، مترجم باللغة الاردية، اختر رضوى ص ٧٨
(٤) ابن الأثير : الكامل ٣-٢٣ .
(٥) وهي في الوقت الحاضر (قلات) بلوجستان تقع في باكستان .

الأخير انتصاراً ، وقام بأخذ عدد كبير من الأعداء أسرى ، وعلى حد قول البلاذري ان هذه الحادثة وقعت في أواخر سنة ٣٨ أو في أوائل سنة ٣٩هـ (١).

ان الجيش الإسلامي كان موجوداً في قيقان عندما سمع باستشهاد علي رضي الله عنه .

ونلاحظ في هذا الصدد بأن المسلمين لم يبسطوا سلطانهم في هذه المناطق بقصد بقائهم بل كانوا يترددون عليها من حين لآخر حيث كان غرضهم الحقيقي تأمين الطرق ضد حملات القراصنة وكما كان ضمن هذه الأغراض الضرب على أيدي الفرس .

وفي العصر الأموي تغير الوضع فقد أدرك المسلمون أن القضاء على القرصنة يقتضي البقاء بالهند ، فذلك وحده هو الذي يحرس طرق التجارة ويوقف تحركات الفرس ، وسيكون ذلك موضع دراستنا فيما يلي :

العلاقات بين الهند والعرب في العصر الأموي :

من المعروف أن حدود الهند متصلة بحدود إيران ، ولما كان هناك حرب بين المسلمين والجيش الإيراني فان الجيش الإسلامي كان يتقدم في إيران كل يوم ، ففي تلك الفترة لاذت جماعة من الفرس بولاية السند أو بمعنى آخر ان السند كان ملجأ لهؤلاء الفارين من الفرس وأن أمير ولاية السند قد مد لهم كل ما كان في وسعه (٢).

هذه كانت سياسة العداء أهل السند تجاه المسلمين وان المسلمين كانوا مضطرين أن يعملوا الإجراءات لوقف هذه العملية ولذلك نرى في مطلع الخلافة الأموية أن معاوية رضي الله عنه أرسل في سنة ٤٣ هـ عبد الله بن سوار العبدي إلى ثغور

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٠٧ وابن الأثير الكامل ٣-٣٢١ .
(٢) اعجاز الحق قدوس : تاريخ سنده ص ٨٠ باللغة الاردية .

الهند لكي ينتقم من هؤلاء الفارين أنه ذهب بجيشه الذي يشتمل على أربعة آلاف عسكرياً ، ونجح في مهمته ثم رجع بعد شهور إلى بلاط الخلافة الأموية، ثم عاد اليها مرة ثانية ولكن وقعت هناك معركة وانه استشهد فيها (١) .

وفي سنة ٤٤ هـ دخل القائد مهلب بن أبي صفرة إلى الهند عن طريق ممرخيبر ووصل إلى ملتان وبشاور وحين عودته وقعت معركة بين أهل فندابيل والقائد مهلب بن أبي صفرة ولكن نجح القائد الإسلامي في المعركة (٢) .

ان هذه الحادثة لها أهمية خاصة لأن القائد مهلب بن أبي صفرة كان أول من دخل في عمق الهند .

بعد هذا كان المسلمون يرسلون جيوشاً إلى حدود الهند حين بعد حين لوقف نشاط العداء لأهل السند ولكن لم يأت دور الفتح والزحف على السند إلا في عصر الوليد بن عبد الملك وبأمر حاكمه على العراق الحجاج بن يوسف الذي أسند هذه المهمة إلى محمد بن القاسم أعظم فاتح وقائد في تاريخ الفتوحات الإسلامية فقد زحف محمد بن القاسم على السند سنة ٩٢ هـ وفتح مدناً كثيرة وأرسى فيها قواعد دولة اسلامية عربية تنمو وتزدهر قروناً طويلة.

أسباب الهجوم على السند :

ان المؤرخين العرب والهند قد اتفقوا على أسباب الهجوم على السند وإن كانوا قد اختلفوا في بعض الكلمات . ان كتاب (جج نامة) يعتبر سنداً في تاريخ السند ، ولذلك اخترت ماذا يقول صاحب جج نامة في هذا الصدد « في عصر الوليد بن عبد الملك فتح المسلمون بلاداً كثيرة ولذلك فان امراء ملوك الدول الأخرى كانوا يخافون منه ويؤدون توطيد الصداقة مع الوليد بن عبد

---

(١) ابن الاثير : الكامل ٣-٢١٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٢١ ، پوهاند عبد الحي حبيب : افغانستان بعد از اسلام ١-٢١٥ . باللغة الفارسية .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٣-٢٢١ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٣٢ .

الملك وكان منهم ملك (سرانديب) الذي كان يود أن يقيم علاقة الصداقة مع الوليد ولهذا الغرض ان الملك قد أرسل ثمانية سفن إلى خدمة الوليد . ان هذه السفن تحمل معها الهدايا الثمينة التي تشتمل على المجوهرات والعبيـــد والجواري وبعض نساء المسلمين اللاتي كن يردن زيارة دار الخلافة والكعبة ولكن بسبب الجو فان السفن قد غيرت مسارها إلى ساحل دايبل أحسن مدينة وأهم ميناء في تلك المنطقة ولكن جماعة من القراصنة [١] استولوا على السفن وأسروا الرجال والنساء وطلب ركاب هذه السفن إخلاء سبيلهم ولكنهم رفضوا قبول مثل هذا الكلام وصاحت امرأة في ذلك الوقت بالحجاج « يا حجاج ياحجاج أغثني » [٢].

وعلى حد قول صاحب جج نامة ان بعضاً منهم هربوا ولجأوا إلى الحجاج ولما سمع الحجاج هذه القصة تأثر منها كثيراً وأرسل خطاباً إلى ملك (داهر) وطلب منه أن يطلق سراح الذين أسرهم في منطقته وسيعطى تعويضاً عن الأموال التي فقدت في هذه الحادثة ولكن أمير داهر رد عليه بدون أية عناية وكتب اليه ان هذه عملية ارتكبها جماعة من القراصنة وانه لا يملك شيئاً تجاههم [٣].

وفي الحقيقة أن أمير داهر قد حاول أن يخدع الحجاج في رسالته لأن مسألة القراصنة هذه لم تكن صحيحة ذلك أن محمد ابن القاسم لما فتح (ألور) وجد في سجونها هؤلاء المسافرين الذين كانوا في الطريق إلى الخليفة ولو أن القراصنـة قد هاجموهم لما كان هناك سبب لوجود هؤلاء المسافرين في السجون الحكومية [٤].

بناءاً على هذا فقد وجه الحجاج أولاً بعض قواده إلى هذه البلاد ولكنه فشل في مهمته فرأى أن يوجه حملة أخرى جعل على رأسها ابن أخيه الشاب محمد بن

---

(١) مسألة القراصنة هذه مسألة فيها نظر ، وسنرى أنها مسألة غير حقيقية .
(٢) قال البلاذري أنها امرأة كانت من قبيلة يربوعية ص ٤٢٣ .
(٣) علي بن حامد بن أبي بكر الكوفي : جج نامه ص ٨٠ .
(٤) اعجاز الحق قدوس : تاريخ سنده ص ١٠٠ باللغة الاردية .

قاسم الثقفي وذلك في سنة ٩٢ هـ وكان عمره إذ ذاك لم يصل إلى العشرين ولكنه عرف بالصلابة والشجاعة .

وقد جهز الحجاج بجيش قوي حشد له فيه كل ما يحتاج اليـــه حتى الخيوط والمسال . وسار محمد بجيشه من جنوب فارس قريباً من الساحل حيث كانت سفن الحملة تحمل ما تحتاج اليه من العدة والمؤن حتى وصل ديبل يوم جمعة ووافته سفنه التي كانت تحمل العتاد ، فخندق وركز الرماح تجاه المدينة، ونشر الأعلام وأنزل الناس على راياتهم ونصب منجانيقاً تعرف بالعروش . وكان بالديبل (بد) عظيم و (البد) فيما ذكروا منارة عظيمة في بناء لهم فيه أصنامهم (أي معبد) وقد أمر محمد القاسم أن يرمى البد بالمنجانيق فكسره ، ثم دار قتال وانتهى باستيلاء المسلمين على المدينة . ومكث محمد يقتل من فيها ثلاثة أيام وهرب عامل (داهر) منها واختط المسلمين بها وبنى لهم مسجداً فكان أول مسجد بني بهذه المنطقة . ثم تابع محمد سيره والبلاد تخضع له صلحاً أو عنوة و (داهر) مستخف به لاه عنه حتى تلاقى الجمعان واقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل وانهزم أصحابه واتجه محمد بجيشه نحو الشمال يريد (السور) وكانت البلاد تقابله مستسلمة طالبة منه الأمان حتى وصل إلى (ملتان) فقاتله أهلها ، ولكنهم انهزموا في النهاية بعـد حصار شديد فقتل منهم (محمد) المقاتلة وسبى الذرية كما سبى سدنة البـد . وأصاب ذهبا كثيراً لا سيما ذلك الذي كان يهدى إلى صنمهم وسيقت الغنائم إلى الحجاج(١) .

وفي الوقت الذي كان فيه قائدنا يتنقـل من نصر إلى نصر جاءه خبر وفاة عمه الحجاج سنة ٩٥ هـ ، وبعد قليل جاءه خبر وفاة الخليفة (الوليد بن عبـد الملك) وتولية (سليمان بن عبد الملك) الذي دعا محمد بن القاسم إلى العاصمة .

أسباب هزيمة أهل السند :

ان صغر حجم الجيش الإسلامي الذي فتح الهند خصوصاً للوهلة الأولى يحتاج

---

(١) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٢٤ .

إلى التفكير ولكن الدارس عندما يبحث هذه المسألة بعمق يدرك بعض الأسباب الخفية التي ترجع أولاً إلى نظام الطبقات وثانياً الإحتكاك بين البرهمية والبوذية فقد كانت تعاني قبل الفتح العربي من الفرقة التي انتهزها العرب وتسللوا منها إلى البلاد .

ان الدكتور أحمد شلبي بين نظام الطبقات الهندوسية ونوعية العمل لكل طبقة منهم مثلاً فعلى البرهمي أن يشتغل بالتعلم والتعليم وبارشاد الناس في دينهم فكان هو المعلم والكاهن والقاضي أما كشتريا فكانت وظيفته أن يتعلم ويقدم القرابين وينفق في الصدقات ، ويحمل السلاح للدفاع عن وطنه وشعبه اما ويشيا فعليه أن يزرع ويتجر ويجمع المال وينفق على المعاهد العلمية والدينية واماشودرا فعليه أن يخدم الطوائف الثلاثة الشريفة [1] .

ان الطبقة الأخيرة أي شودرا قد حرمهم المجتمع الهندوسي حقوق الإنسان ونزل بهم إلى مستوى أقل أحياناً من مستوى الحيوان ولم يسمح لهم بأن يعتنقوا الدين الهندوسي أو يتخلقوا بآدابه [2] .

يقول الدكتور حسن محمود « فقد استطاع البراهمة بعد عصر الويدي أن يستعيدوا السلطة والنفوذ فبثوا نظام الطبقات الذي كانوا قد أقاموه من قبل ووضع قديسهم الأعظم (منو) شرائعه وفقهه الذي يسير أمور الهند في كافة توجيهات وشرائع (منو) تعطي البراهمة امتيازات تجعلهم فوق الملوك أنفسهم ، فقد كان الملك لا يقطع أمراً دون الرجوع اليهم وكان يبحث مطالبهم كاملة وأباحت شريعته للطبقات الأولى الحق في أن يصاهر بعضها بعضاً على أن لا يتحالفوا طبقة الشودرا وان فعلوا نبذوا وأصابهم الخزي في حياتهم ومماتهم »[3] .

---

(١) دكتور أحمد شلبي : مقارنة الاديان ٤ — ٥٧ .

(٢) دكتور احمد شلبي : مقارنة الاديان ٤ — ٥٢ .

(٣) دكتور حسن محمود : الاسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطي بين الفتحين العربي والتركي ص ١٢١

ولذلك نجد أن بعض القبائل الهندية مثل قبيلتي الميد والجـات (الزط) السنديتين اللتين انضمتا للجيوش الإسلامية ووجهتها إلى أيسر الطرق وبذلت عوناً واضحاً في معارك القتال . وكانت هاتان القبيلتان قد هاجر أكثر أفرادها إلى خارج السند لفرط ما كانوا يعانونه من سوء معاملة الحكومة البرهمية [١] .

السبب الثاني : هو الاحتكاك بين البرهمية والبوذية فمن المعروف أن البوذية قد لقيت نجاحاً كبيراً في القرن السادس قبل الميلاد ومن أهم أسباب النجاح البوذية هي الغاء نظام الطبقات [٢] .

يقول لوبون « ان البوذية كانت على القمة في مستهل آل كيتا فكانت بلاد البنجاب والكنج عامرة بالأديرة التي يقصدها ألوف الرهبان ليتعلموا فيها أسرار الدين وليعيشوا عيشة الزهد والنسك » [٣] .

ولكنها بدأت تنكمش بعد بوذا ، ومن أهم أسباب ضعفها كما يقول الدكتور أحمد شلبي ان البوذية اهتمت باصلاح الباطن أي إصلاح الأخلاق فحاربت الشهوة والغرور والكبرياء ، ولكن الهندوسية قنعت بأشياء ظاهرية كالغسل في الأنهار المقدسة والأخذ بالطقوس والقرابين ومصالحة الظاهر أيسر وأسهل من معالجة الأمور الباطنية [٤] .

وأضيف إلى السبب الذي ذكره الدكتور أحمد شلبي فان في ازدهار البوذية ببلاد الهند قد أصاب الحياة الإجتماعية في الهند شديد من الفوضى واختلال النظام بسبب مبدأ (الانطلاق) من العالم إلى الأديرة لكثير من الناس الذين اعتنقوا البوذية ولم يستطع المجتمع إعالة هؤلاء كرهبان وراهبات كما أنه أصاب الناس نفور مما حوت البوذية من نواحي التشاؤم .

---

(١) دكتور احمد شلبي : التاريخ الاسلامي ، الحضارة الاسلامية ٢ - ١٣٣ .
(٢) دكتور احمد شلبي : مقارنة الاديان ٤ - ١٧٤ .
(٣) جوستاف لوبون : حضارات الهند ص ٣٩٠ .
(٤) دكتور احمد شلبي : مقارنة الاديان ٤ - ١٧٩ .

وقد حدث نتيجة لذلك انتعاش للعبادة الهندوكية .

وثمة سبب آخر لاضمحلال البوذية – أغلب الظن أن التطور الذي حدث للأفكار الهندوكية من انتعاش بفلسفتها المنظمة التي تعرضت للبوذية بسهام النقد من المفكرين الهندوك الذين راحوا في الوقت نفسه يبسطون ويشرحون ما لديهم من مذاهب ونظم هندوكية معارضة ، وينشرون تعاليم الهندوكية بين أفراد الشعب التي تدعو إلى محاربة التشاؤم والتمسك بالحياة الدنيا (١) .

كانت البوذية على وشك أن تنهار حتى جاء الملك العظيم أسوكا فاعتنقها وبث فيها الحياة مرة أخرى .

ولكن بعد وفاة الملك أسوكا بقليل عاد الصراع مرة أخرى بين الهندوسية والبوذية ولم تستطع البوذية أن تثبت في هذا الصراع فاضمحلت أمامها (٢) .

فانظر كيف يحكي لنا الرحالة هيوان تسانغ مأساة البوذية متمثلة في خراب المعابد والأديرة البوذية في كثير من الولايات كما خربت باتل بوترا عاصمة البوذية وأخذ نجم البوذية يأفل من الهند بسرعة وكانت المعابد التي أقيمت في القرن السابع قليلة جداً وفي القرن الثامن اضمحلت البوذية تماماً وفقدت على الأقل سلطانها السياسي ولم تعد لها سيطرة إلا في نيبال شمالاً وسيلان جنوباً (٣) .

كانت هذه صورة الصراع بين الهندوسية والبوذية وأن ما بقي من البوذيين كانوا يعانون من الهندوسية ولذلك نرى بينهما تنافر شديد كما يقول صاحب « ججنامة » (٤) ولذلك ان الجيش الاسلامي لما دخل السند فان البوذيين رحبوا

---

(١) الباني جريجوري : التاريخ وكيف يفسرونه ص ٤٦ ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد.

(٢) دكتور أحمد شلبي : مقارنة الاديان ٤-١٨٢ .

(٣) جوستاف لوبون : حضارات الهند ص ٣٧٢ .

(٤) علي بن حامد بن أبي بكر الكوفي : جج نامة ص ١٤٢ .

٣- يقول المؤرخ البلاذري : لما دخل محمد بن القاسم إلى مدينة نيرون ان البوذيين كانوا وسيط للمصالحة بين أهلها وبين الجيش الاسلامي (١) .

وعندما بعث محمد بن القاسم مصعب بن عبد الرحمن الثقفي إلى سدوسان في خيل وحمارات فطلب أهلها الأمان والصلح وسفر بينه وبينهم السمينة فأمنهم ووقف عليهم خرجاً (٢) .

ان ما نذهب اليه يؤيده المؤرخ الهندي الدكتور تارا شندرا « كان هنـــاك احتكاك بين المذاهب الهندوسية والبوذية والجينة وان مذهب الهندوسية كان يحاول السيطرة عليها وبسبب الاضطرابات كان لايوجداستقرارسياسي كلية وان الناس قد تعبوا من هذا الجو وانهم كانوا مستعدين أن يقبلوا أية أفكارجديدةوان الاسلام دخل بأصول متينة وبنظام عادل ولذلك رحب أهلها بهذا الدين » (٣).

ونلخص من هذه الأسباب أن نظام الطبقات التي وضعها البراهمة والاحتكاك بين الأديان التي كانت منتشرة في تلك المنطقة كان من أهم أسباب نجاح الجيش الاسلامي مع الاعتراف ببسالتهم وقوة إيمانهم بالله .

ولكن بعد موت محمد بن القاسم توقف التقدم الاسلامي في بلادالهند واستمر تعيين الولاة من جانب الخلفاء الأمويـــين حتى برز منصور بن جمهور كشخصية سياسية في أواخر أيام الدولة الأموية لاشتراكه مع يزيد بن الوليد في قتل أخيه الوليد الثاني (١٢٥ — ١٢٦ هـ) فاستلم نتيجة عمله هذا ولايـــة العراق ثم عزل وذهب إلى السند واستطاع أن يستقل هناك مستغلاً ظروف الدولة الأمويــة الصعبة في ذلك الوقت إلى مجيء الدولة العباسية (٤) .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٣٧ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٥٢ .

(٣) Dr. Tarachand The Islamic Influence on Indian Culture P N 59 .

(٤) الطبري ٧ — ٢٧٠ و ٢٨٤ و ٤٦٤ البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣١ .

البـــاب الأول

العلاقات السياسية بين الهند والخلافة العباسية

في هذا الباب سيشمل حديثنا ثلاث فترات مختلفة تندمج تحت العلاقات السياسية بين الهند والخلافة العباسية :

والفترة الأولى هي عصر الولاة الذين كانوا يعينون ويعزلون بواسطة الخلفاء .

والفترة الثانية فترة الامارات العربية الاسلامية المستقلة بالهند والتي كانت امتداداً لعصر الولاة مع ثبات الوالي ورسوخ قدمه ووراثة الولاية في حدود أسرة الوالي .

وأما الفترة الثالثة فتشمل الدول التي أنشأها السلاطين الذين ضموا الولايات المختلفة تحت سلطانهم وكانت الصلة بين السلاطين والخلفاء في حدود الخطبة وبعض الهدايا .

الفصـــل الأول

عصر الولاة

عصر الولاة

يهمنا في هذا الفصل العلاقات السياسية وقد كانت العلاقات السياسية بين الخلفاء العباسيين بالهند منذ قيام الدولة العباسية (١٣٢ هـ) حتى عهد المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) علاقة مباشرة فقد كان هؤلاء الخلفاء يرسلون من قبلهم عمالاً ليحكموا الهند ويحتفظون لأنفسهم بالسلطة الكاملة في تعيين هؤلاء الولاة وعزلهم .

ولكن الحال تغير بعد المتوكل فقد ضعف نفوذ الولاة بالهند مما أطمعهم في الاستقلال فانقطعت سلطة العباسيين المباشرة في الهند وصار لهم نفوذ روحي فقط تدين به الامارات المستقلة .

وسوف نتتبع في هذا الفصل بالدراسة الصلة المباشرة بين العباسيين والهند وهي ما أسميناه عصر الولاة ، أما عصر انقطاع هذه الصلة وظهور الامارات المستقلة فسيكون موضوعاً للفصل التالي .

لقد قامت الخلافة العباسيه سنة (١٣٢ هـ) وانتقلت عاصمة الدولة الإسلامية من دمشق إلى بغداد ، فكان لذلك تأثير على علاقة الدولة بالمناطق الشرقية ومنها الهند وقد تولى أبو مسلم قيادة جيوش العباسيين ، فلما تمكنت دولتهم بدأ يتطلع إلى إخضاع المناطق الشرقية ، وبسط نفوذ العباسيين اليها ، من المعروف أن منصور بن جمهور الكلبي قد استقل بولايته كما ذكرنا في التمهيد ، فأرسل أبو مسلم جيشاً (١٣٤ هـ) بقيادة مفلس عبد السجستاني إلى السند لكي يعتقل هذا الوالي فلمابلغ قائد العباسيين السند واجهه في أول الأمر منظور أخو منصور الذي

كان والياً من قبل أخيه على الدايبل فانتصر عليه وقتل منظور في المعركة ولما سمع منصور بمصرع أخيه تأثر به كثيراً واستعد للثأر من قتلته ·

وكان مفلس العبدي يتقدم في هـــذا الوقت حتى وصل إلى مدينـــة المعمورة [1] وهناك وقع قتال عنيف بين الجانبين كانت نتيجته أن خسر مفلس العبدي في هذه الجولة واعتقل ثم قتل بأمر المنصور [2] لما سمع أبو مسلم الخراساني بموت مفلس العبدي طلب من الخليفة السفاح أن يرسل جيشاً آخر إلى السنـــد بقيادة موسى بن كعب التميمي (١٣٤ هـ — ١٤١ هـ) وكان هذا الجيش يتألف من اثني عشر الف جندياً .

ان موسى بن كعب التميمي كان قائداً وسياسياً ناجحاً ولذلك آثر أن يقيم في قندابيل ليدرس الموقف عن قرب وفي نفس الوقت حاول أن يجذب أهالي المنصورة اليه فلما نجح في ذلك بدأ زحفه على المنصورة فعبر نهر السند وخرج المنصور للقائه فحلت به الهزيمـــة ورجع هارباً إلى المنصورة لكي يحصن نفسه ولكنه لم يتلق أي تأييد من الشعب فقرر الفرار إلى الصحراء حيث لقي حتفه ويحتمل أنه مات بمرض باطني كما يقول ابن الأثير [3] .

واستولى موسى على السند وتولى أمورها وبذل عناية كبيرة في إصلاحها وأمر بتوسيع مسجد المنصورة [4] .

---

(١) وهي أكبر مدن السند واقعة في الاقاليم الثاني من الاقاليم السبعة وكان اسمهـــا القديم بنهور وبرهمنا (الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٠٢ والقلقشندي : صبح الاعشى ٥-٦٣) ذهب المؤرخ المسعودي إلى أن هذه المدينـــة معروفة بنسبتهـــا إلى منصور بن جمهور المذكور (المسعودي : مروج الذهب / ٣٧٩) ولكن هذا غير صحيح لان على حد قول البلاذرى ان عمر محمد بن القاسم بنى هذه المدينة في العصر الاموى (البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣١).

(٢) اليعقوبي : ٣/٩٤ .

(٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٤-٣٤٤ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣-٩٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٣١ .

أبو جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨) :

وتولى أخوه أبو جعفر المنصور ، وقد ظل موسى بن كعب يحكم الهند في سنة ١٤٠ هـ ، ثم رغب العودة إلى بغداد ، فأذن له الخليفة في ذلك وعاد إلى بغداد وتوفي هناك سنة ١٤١ هـ ولما عاد كعب إلى بغداد عين مكانه ابنه عيينة بن موسى التميمي (١٤٢ هـ) بصفة مؤقتة [١] ثم جعله والياً دائماً بعد وفاة أبيه ولكن عيينة كان عديم الصلاحية وكان لا يستطيع أن يحكم البلاد فسادت الفوضى وسخطت عليه القبائل العربية التي نزحت إلى السند كان من المفروض أن يصلح عيينة نظامه الحكومي وأن يأخذ الناس باللين ولكنه أصدر أمراً باعتقال جميع المعترضين على حكمه وكانت هذه أول غلطة سياسية صدرت منه وجلبت عليه مزيداً من السخط والكراهية .

وأحس عيينة بعدم قدرته على السيطرة على الموقف ففكر في العودة إلى بغداد ليشغل منصباً في الشرطة طالما شغله هو وآباؤه ، ولكن هذا المنصب لم يكن شاغراً في ذلك الوقت فقد كان يتولاه مسيب بن زهير فلما سمع بذلك كتب اليه كتاباً مجهولاً جاء فيه :

فأرضك أرضك ان تأتنا
تنم نومة ليس فيها حلم

ولما تلقى عيينة هذا الخطاب آثر السلامة وقرر أن يبقى في السند على أية حال ولكنه طمع في الاستقلال عن السلطة المركزية في بغداد فأعلن العصيان [٢] لما سمع خليفته المنصور بهذه الثورة أرسل جيشاً بقيادة عمر بن حفص وقرر أن يقيم في الدايبل لكي يدرس الموقف ويجهز الجيش للهجوم وكانت هناك تيارات تعمل ضد عيينة كما ذكرنا ولذلك لما سمع الناس بوصول عمر بن حفص انضم

---

(١) اعجاز الحق قدوسي: تاريخ سنده ص٢٥٩ باللغة الاردية .
(٢) ابن الاثير : الكامل ٤ – ٣٦٨ .

بعضهم إلى جيش عمر وقد أحس عيينة أنه لا يستطيع أن يقاوم عمر بن حفص ولذلك عرض عليه الصلح ولكن عمر بن حفص صمم على أن تسلم اليه المنصورة أولاً وتمكن عمر من الاستيلاء على المنصورة واعتقل عيينة وأرسله إلى الخليفة ، وقد حاول عيينة الفرار في الطريق ولكن كانت نهايته أن أحد حراسه قطع رأسه وحملها إلى الخليفة [1] .

وفي عهد عمر بن حفص ظهر نشاط علوى في إقليم السند فقد ظهرت في هذا الوقت ثورة العلويين بقيادة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم وأرادوا أن تمتد دعوتهم إلى الهند فأرسلوا عبدالله الأشتر لكي ينشر الدعوة العلوية في الهند ووصل عبد الله الأشتر إلى السند كتاجر ولكن أظهر يوماً لعمر بن حفص الغرض من مجيئه وكان عمر بن حفص يحب العلويين ولكنه لا يستطيع أن يظهر هذا الحب ولذلك رحب بهذه الدعوة ووعد بتقديم جميع المساعدات له وفي خلال هذا وصلت الأنباء بموت النفس الذكية وابراهيم ، وعندما سمع عبد الله الأشتر هذا الخبر أصابه خوف شديد على ما سيؤل اليه مصيره ولكن عمر بن حفص وعد بأن يرسله إلى أحد من أمراء الهندوس ، إن أمير الهندوس قد احترم عبد الله الأشتر وعائلته وقدم جميع المساعدات الممكنة . ان التاريخ لا يحدثنا من كان هو أمير الهندوس وعلى أية ولاية كان يحكم على أية حال ان عبد الله الأشتر كان يتجول في كل مكان وينشر دعوته ، وقد دخل مذهب الشيعة إلى الهند منذ ذلك الوقت .

وقد بلغت المنصور أخبار نشاط عبد الله بن الأشتر في السند فأرسل إلى عامله عمر بن حفص ليستوضح حقيقة الأمر وقد ساورت المنصور الشكوك في أمر عامله فقرر إقصاءه بعيداً عن السند (١٥١ هـ) وعين هشام بن عمرو

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣ — ١٠٨ .

التغلبي والياً على السند (سنة ١٥١ هـ) [١] .

ان القرائن تشير إلى أنه كان يحب العلويين ولذلك انه ماطل في اعتقال عبدالله الأشتر ، ولكن أحد إخوة هذا الوالي تولى بدون علمه قتل الأشتر تنفيذاً لرغبة الخليفة [٢] .

ان حكم هشام بن عمرو التغلبي حقق مكاسب كبيرة للدولة العباسية فقد فتح بعض الولايات التي لم تفتح حتى ذلك العهد فقد بعث بعض السفن الحربية بقيادة عمر بن جميل إلى كجرات وفتح كشمير واستولى على ملتان [٣] وضمها إلى الدولة العباسية وهكذا استولى على ميناء قندهار وبنى المسجد في كجرات الذي كان يعتبر ثاني مسجد في الهند .

واستطاع هشام بن عمرو التغلبي أن يخمد الثورات المضادة للدولة العباسية في السند وقد ساد السرور والارتياح في البلاد وكانوا يعتبرونها دولة مباركة لهم [٤]

وفي ذلك العصر ذهب وفد من السند إلى بلاط الخليفة المنصور الذي كان يتألف من كبار العلماء وكان منهم عالم كبير باللغة السنسكريتية الذي قدم سدهانت

---

(١) ابن جرير الطبري : تاريخ الطبري ٨-٣٤ . أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ١٥١ ، ابن الاثير : الكامل ٥-٣٠ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٥-٣١ .

(٣) يطلق اسم ملتان على مدينة وعلى مملكة بهذا الاسم أيضاً . تقع مدينة الملتان في الهند ببنجاب . ان صاحب تقويم البلدان ذكر حدودها كالآتي : « من الغرب إلى حدود مكران ومن الجنوب إلى حدود المنصورة » (أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٣٥٠) ويذكر المؤرخ المسعودي أنه توجد في ملتان عشرون ومائة الف قرية (المسعودي : مروج الذهب ١-١٦٨) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣١ .

مام الخليفة [1] . ان الخليفة المنصور قد سر من هشام لكفاءته المالية ولذلك فوض اليه ولاية كرمان ، ولكن بعد فترة وجيزة أخذ إذناً من الخليفة سنة ١٥٧ هـ وعاد إلى وطنه وتوفي هناك [2] .

بعد وفاة هشام بعث الخليفة المنصور معبد بن خليل التميمي سنة ١٥٧ هـ والياً على السند فتولى إدارة الإقليم بكفاءة عالية ، وهو آخر العمال الذين تولوا السند في عهد الخليفة المنصور ولكن لا نجد في ولاية معبد بن خليل التميمي أية فتوحات جديدة [3] .

المهدي (١٥٨ – ١٦٩ هـ) :

ولم يحظ اقليم السند طوال عهد المهدي بأية استقرار لكثرة الولاة الذين تولوا حكمه ، ولم يكن الواحد منهم يمكث إلا فترة قليلة كانت لا تتجاوز عدة أيام في كثير من الأحيان وسنعرض هنا لهؤلاء الولاة حتى تتضح لنا هذه الحقيقه .

بعد وفاة الخليفة المنصور تولى ابنه المهدي زمام الحكومة سنة ١٥٨ هـ وفي أوائل عهده توفي عامل السند معبد بن خليل التميمي في سنة (١٥٩ هـ) [4] وبعد ذلك عين المهدي روح بن حاتم (سنة ١٥٩ هـ) مكان معبد بن خليل التميمي ولكنه لم ينجح في إدارة البلاد لأنه فشل في إخماد ثورة الزط الذين كانوا موجودين في غرب السند ولذلك عزله المهدي وعين بدلاً منه هشام التغلبي البسطام ولكن المهدي عزله ولا نعرف السبب وراء ذلك ، وعين روح بن حاتم مكانه مرة أخرى ولكنه لم يحقق أي نجاح هذه المرة أيضاً وعين مكانه نصر

(١) الدكتور أحمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج ٣ ص ٣٤٧ ، سليمان الندوى : مقالات السيد ص ١٣٤ (بالاردية) .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣-١٠٩ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ٥-٤١

(٤) اعجاز الحق قدوسي : تاريخ سنده ص ٢٦٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥-٥٣ .

ابن محمد أشعث الخزاعي (١٦١ هـ) ، الذي لم يستطع أن يستمر سنة كاملة حتى عزله وعين مكانه محمد بن سليمان بن علي الهاشمي ولكن هذا الوالي لم يهنأ بولايته، إذ ما لبث الخليفة أن عزله بعد عشرين يوماً قبل أن يسافر إلى السند وعين نصر ابن محمد أشعث الخزاعي مرة أخرى ولكن المهدي عزله بعد شهور وعين مكانه زبير بن العباس الذي كان يحكم على السند من دار الخلافه (بغداد) ولذلك انتشرت الفوضى في عهده ثم عين المهدي مكانه مصبح بن عمرو التغلبي ولكن من سوء حظه انتشرت في عهده الخلافات بين الحجازيين واليمنيين ، ولم يستطع أن يقضي على هذه الخلافات ولذلك تولى مكانه نصر بن محمد أشعث مرة ثالثة ، الذي حكم البلاد إلى سنة ١٦٣ هـ ، ولم تعرف السند طوال هذه الفترة طعم الطمأنينة والهدوء وتفاقمت الخلافات بين الحجازيين واليمنيين كما أحدث بعض سكان السند الأصليين اضطرابات وثورات مثل طائفة الزط الذين تمردوا على سلطة العباسيين في السند ، ولم تعد للولاة أية قدرة على الوقوف أمام هذه التيارات العنيفة ولذلك اختار الخليفة المهدي والياً حازماً قوي الشكيمة هو ليث بن طريف واستطاع هذا الوالي أن يحرز نجاحاً [1] .

وفي عهد المهدي حدثت فتوحات جديدة في بلاد الهند فقد بعث المهدي عبد الملك بن شهاب المسمى في جمع كثير من الجند إلى بلاد الهند عن طريق البحر ونزلوا بأرض الهند وفتحوا باربد (بهربرج) عنوة وأحرقوا صنماً واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون وأقاموا بعض أيام إلى أن يطيب الريح وأثناء العودة أصابهم وباء فمات منهم عدد كبير ثم عصفت بهم الريح عن ساحل حران فانكسرت عامة مراكبهم وغرق الكثير منهم [2] هذا يوضح لنا مدى التضحيات والخسائر التي كان الفاتحون المسلمون يقدمونها وبعد وفاة المهدي تولى ابنه الأكبر الهادي

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٧-١٣١ ، ابن الاثير : الكامل ٥-٥٨ ، الطبرى : تاريخ الطبرى ٨-١٤٠ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣-٢٠٨ .

زمام الحكومة وانه حكم البلاد سنة وربع وتوفي في سنة ١٧٠ هـ ، ولم تحدث في عهده أية تطورات في إقليم السند .

هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) :

بعد وفاة الهادي تولى شقيقه هارون الرشيد زمام الحكومة وعزل ليث بن طريف عامل السند (سنة ١٧٠ هـ) وعين مكانـــه السالم يونس [١] (١٧٠ هـ) فكان الأمر سهلاً بالنسبة له ولم يواجه متاعب أثناء حكمه لأن ليث بن طريف قد بذل جهداً كبيراً ليسود الهدوء والاستقرار في المنطقة وظل هذا الوالي في الحكم إلى أواخر سنة ١٧٤ هـ وعزل بعد ذلك عن الولاية وعين مكانه اسحاق بن علي الهاشمي (١٧٤ هـ) وفوضت اليه ولاية مكران أيضاً ولكنه توفي بعد سنـــة واحدة ، وقد وصفه اليعقوبي بالزهد والصلاح [٢] ، وضبط البـلاد ابنه يوسف ريثما يأتي وال جديد من قبل الخليفة ولما بلغت أنباء الوفاة بغداد عين الرشيـد مكانه طيغور بن عبد الله وبعد وصوله مباشرة اشتدت الخلافات بين القبـــائل اليمنية والحجازية ، وكان طيغور من أصل يمني ولذلك انحاز للعنصر القحطاني ، وعندما سمع هارون الرشيد بهذه الإضطرابات بعث جابر بن الأشعث لإخمـاد هذه الخلافات ولكنه لم ينجح في مهمته ولذلك استبدله الخليفة وعين سعيد بن مسلم ولكنه لم يحضر بنفسه إلى السند وبعث أخاه كثير بن مسلم نائباً عنه ولكنه كان رجلاً عديم الصلاحية فلم ينظر في إصلاح الأمور بل انصرف إلى اللهو والمجون ولذلك كانت الأمور تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم فاضطر الخليفة إلى استبـــداله بعيسى بن جعفر ولكنه لم يحضر بنفسه إلى السند وبعث محمد بن عدي التغلـبي نائباً عنه ولكنه لم يكن أفضل من سابقيه فقد ترك الأمور تجري في أعنتهـا ، ولما ازدادت الأمور سوءاً أراد أن يكون بمنأى عن مركز الإضطرابات، فانتقل

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣-١٤٠ .

(٢) مير علي . تحفة الكرام ٣-٢٦ مترجم باللغة الاردية .

إلى الملتان عسى أن تكون أكثر هدوءاً ولكن أهلها رفضوا استقباله ولذلك اضطر إلى الرجوع إلى المنصورة مرة أخرى وما لبث الخليفة أن عزله وعين مكانه شخصاً يدعى عبد الرحمن ثم أعقبه أيوب بن جعفر بن سليمان ولكنهما لم ينجحا في إخماد هذه الإضطرابات .

ثم تولى السند داود بن يزيد بن حاتم المهلبي فأرسل أخاه نائباً عنه على السند، وكان الحجازيون في هذا الوقت هم الطرف الأقوى ولذلك فان الحكومة لم تتخذ ضدهم أية إجراءات .

وكان الحجازيون يسعون إلى طرد اليمنيين من البلاد ثم تقسيم السند بين قبائل قريش وقيس وربيعة . وعندما سمع الحجازيون بقدوم المغيرة اتخذوا جميع التدابير لكي لا يدخل المغيرة البلاد قبل أن يوافق على شروطهم وبعثوا اليه خطاباً يعرضون فيه رغبتهم في التقسيم ولكن المغيرة رفض هذا الشرط ، وفي أثناء ذلك اتخذ التدابير السياسية لتهدئة الموقف وعودة الأمور إلى مجراها الطبيعي ، ولكنه لم ينجح في مسعاه ، وأخيراً قرر استخدام القوة ضدهم فحاصرهم حتى تعب الحجازيون من هذا الحصار وبعثوا إلى المغيرة رسالة يطالبون فيها السماح لهم بمغادرة البلاد قبل دخوله فيها ، ولكن المغيرة رفض هذا الشرط أيضاً ، عندئذ التقى الجيشان ودار بينهما قتال عنيف كانت نتيجته أن حلت الهزيمة بالمغيرة عندما علم داوود بن يزيد بهزيمة نائبه المغيرة اضطر إلى قصد السند بنفسه ليسيطر على الموقف ، ونجح في مهمته وتمكن من إخماد هذه الثورة القبلية[1] .

محمد الأمين بن هارون (١٩٣ – ١٩٨هـ) :

بعد وفاة هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ تولى الخلافة ابنه محمد الأمين ولكنه لم يتفرغ لأية عناية بالولايات البعيدة كالسند لأنه كان مشغولاً طوال عهده بالصراع

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣ – ١٤٠ .

مع أخيه المأمون ورغم اضطراب الأمور في عاصمة الخلافة بغداد إلا أن السند كان هادئاً مستقراً تحت حكم الوالي داود بن يزيد المذكور .

المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ) :

بعد قتل الأمين تولى أخوه المأمون زمام الحكومة سنة ١٩٨ هـ ، ولم يجد أية ضرورة لإحداث تغييرات في منصب ولاية السند نظراً لكفاية واليها داود .

وعندما توفي داود بن يزيد سنة ٢٠٥ هـ تمكن أحد رجاله وهو أبو الصمة من السيطرة على الحكم دون أن يصدر أمر بتوليته من بغداد [١] . عندما سمع الخليفة بموت داود بن يزيد عين مكانه ابنه بشر بن داود المهلبي (٢٠٥ هـ) ولا ندري إن كان قد حدث صراع بينه وبين أبي الصمة أو أن الأخير انسحب راضياً من منصب الولاية بعد صدور قرار الخليفة بتولية بشير .

على كل حال فقد تولى زمام الأمور وحكم البلاد ولكنه ما لبث أن أعلن استقلاله عن السلطة المركزية في بغداد فبعث اليه المأمون جيشاً بقيادة الحاجب ابن صالح ولكن الحاجب بن صالح انهزم أمام بشر ولم يستطع أن يحقق أهداف الخليفة ، فبعث الخليفة غسان بن عباد المهلبي إلى السند في سنة ٢١٣ هـ لكي يخمد هذه الحركة الانفصالية وأمر الخليفة غسان أن تفوض الولاية إلى موسى ابن يحيى بن خالد البرمكي بعد القضاء على بشر . ووصل غسان إلى السند سنة ٢١٣ هـ ورأى بشر أنه لا طاقة له بلقاء جيش الخليفة فأعلن استسلامه أمام غسان فاعتقله .

وعندما عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي فوض زمام الحكومة إلى موسى تنفيذاً لأوامر الخليفة .

ولما وصل غسان إلى بلاط الخليفة قدم اليه بشراً وتشفع له عند الخليفة

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣١ .

كي يفرج عنه هو وأسرته فوافق على ذلك[١] .

وفي أثناء وجود غسان في السند أرسل اليه أحد أمراء الهندوس (بالاشندر) يأمره بالمثول في بلاطه ولكن غسان اعتبر هذا إهانة لنفسه وفكر في تأديب هذا الأمير الهندوسي ولكن عودته إلى بغداد حالت دون تنفيذ ما فكر فيه .
وكان أول عمل قام به موسى بعد توليته هو التوجه لقتال الأمير الهندوسي فتمكن من إلحاق الهزيمة به وقبض عليه وقد طلب الأمير الهندوسي من موسى أن يطلق سراحه مقابل فدية ولكن موسى رفض هذا الطلب وقتله[٢] .

وقد كان موسى من أنجح العمال في إدارته فقد أولى عناية للأمور الداخلية ولذلك لا نرى أية خلافات قبلية أو ثورات من أهل السند الأصليين في عهده .

المعتصم بالله (٢١٨ – ٢٢٧ هـ) :

توفي الخليفة المأمون في سنة ٢١٨ هـ وتولى الخلافة المعتصم بالله وفي أوائل عهده توفي عامل السند موسى البرمكي وقبيل وفاته تولى زمام الأمور ابنه عمران (ربما بسبب شدة مرض موسى) فلما توفي موسى أصدر المعتصم قراراً بتولية ابنه على الاقليم (٢١٧ هـ) .

وكان موسى البرمكي عاملا ناجحاً وحكم البلاد بكفاءة بالغة فلم تجرؤ العناصر المعادية للحكومة على القيام بأي فتنة أو اضطراب ولكن هذه العناصر وجدت فرصتها للثورة بعد وفاة موسى ، ومنهم الزط الذين كانوا موجودين في الضفة الغربية لنهر السند فأعلنوا الثورة على الحكومة . ولكن عمران أخمد هذه الحركة[٣] وأقام في بلادهم قاعدة عسكرية هي مدينة (البيضاء) وأقام بها ثكنات للجيش[٤] لكي لا يرفع المتمردون رؤسهم مرة أخرى . وفي أثناء هذا

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣–١٨٥ .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٢ .
(٣) أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ١٧٦ .
(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٧٢ .

خرج أهل قندابيل (كنداوي) على الحكومة وأعلنوا العصيان لعامل السند ولكن عمران أخمد هذه الحركة أيضاً وقبض على جميع المتمردين وما كاد عمران يفرغ من هذه العملية حتى واجه عصياناً آخرمن قبيلة الميد فتوجه لقتالهم وقضى على ثورتهم . وفي نفس الوقت نشبت الخلافات بين الحجازيين واليمنيين ، وقد وقف عمران في جانب اليمنيين ولذلك دبر له الحجازيون مؤامرة، وتمكنوا من قتله [١] .

نرى أن عمران قد أخطأ بمساعدة اليمنيين لأنه كان المفروض به أن يسوي الأمور بالسياسة ، وان انحياز عمران إلى اليمنيين كان هو سبب سخط الحجازيين عليه .

ولقد أحدث قتل عمران فراغاً كبيراً في السند وأتاح الفرصة لاستمرار الاضطرابات والخلافات بين الحجازيين واليمنيين .

وقد تولى عنبسة بن اسحاق زمام الحكومة في سنة ٢٢٦ هـ بعد عمران [٢] يقول صاحب تحفة الكرام : عنبسة لم يكن هو الوالي الأصلي للسند في ذلك الوقت بل كان نائباً عن القائد التركي ايتاخ الذي لم يذهب إلى السند وفضل أن يبقى في العاصمة . وأرسل عنبسة نائباً عنه [٣] .

ولكن المؤرخين العرب يقولون أن عنبسة بن اسحاق قد عين من جانب الخليفة المعتصم بالله .

وقد استمرت ولايته إلى وفاة الخليفة سنة ٢٣٢ هـ [٤] .

---

(١) أبو ظفر ندوى : تاريخ سنده ص ١٨٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) مير علي مير : تحفة الكرام ص ٨٥ (مترجم باللغة الاردية) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٢ .

المتوكل على الله (٢٣٢–٢٤٧ ﻫ) :

بعد وفاة الخليفة الواثق بالله في سنة ٢٣٢ ﻫ تولى أخوه المتوكل زمام الحكومة في سنة ٢٣٢ ﻫ ، فعزل عنبسة بن اسحاق بعد خلافته مباشرة وعين مكانه هارون ابن أبي خالد المزروي [١] . ان هارون درس الموقف المتدهور بسبب الخلافات بين الحجازيين واليمنيين فلاحظ ان عمر بن عبد العزيز الهباري الذي كان زعيم الحجازيين في تلك المنطقة كان يتمتع بقوة كبيرة ومن ناحية أخرى ان السلطة المركزية المتمثلة في خليفة بغداد قد بدأت تفقد نفوذها بسبب سيطرة الأتراك عليها ، وشجع ذلك بعض الولايات على إعلان استقلالهم الذاتي ومنها ولاية السند.

فقد قتل هارون في الفتن التي سادت الولاية (ولكن المؤرخ اليعقوبي يقول انه لم يقتل بل انه مات ميتة طبيعية) [٢] وامتلك زمام البلاد عمر بن عبد العزيز الهباري الذي كان زعيم (الحجازيين) مقاليد السلطة في سنة ٢٤٠ ﻫ وأرسل خطاباً إلى الخليفة المتوكل يطلب الإعتراف به حاكماً على السند فوافق الخليفة على ذلك ، وفوض اليه ولاية السند رسمياً .

وقد تمتع عمر بن عبد العزيز بالسلطة الكاملة في السند ، ولم يعد يخضع للخلافة إلا من الناحية الرسمية فقط ، واستطاع أن يضمن الحكم لأعقابه ويؤسس أسرة حاكمة لا ترتبط بالخلافة العباسية إلا باقامة الخطبة لهم في السند ، وبذلك بدأ عهد جديد هو عهد الامارات المستقلة ، وانتهت سلطة الخلفاء العباسيين في تولية حكام السند .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣–٢١٥ أبو ظفر ندوي : تاريخ سنده ص ١٨٧ .
(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣–٢١٥ .

الأثر الحضارى للمسلمين في الهند

في هـــذا العصر

يقول المؤرخ الإنجليزي لين بول « ان المسلمين العرب لم يحققوا أحلامهم باقامة مملكتهم العظيمة ولذلك لا نجد أي تأثير لهم في الهند وهذا من سوء حظهم»(١).

وأيد هذه الفكرة المؤرخ الهندوسي الدكتور ايشوري براشاد وبين بعض الأسباب التي حالت دون تحقيق أهدافهم أما الأسبـــاب التي ذكرها الدكتور ايشوري براشاد فنجملها فيما يأتي :

ان أراضي السند غير قابلة للزراعة وأن الولاة كانوا لا يتلقون أي تأييد من الخلافة وان أكثر الخلفاء كانوا مشغولين في شئونهم الداخلية ولذلك لم يعنوا أية عناية بالولايات البعيدة وان الخلفاء فقدوا سيطرتهم بسبب ضعفهم على الأقاليم ولذلك قامت في الهند امارات عربية « ولكنـــه لم يشر إلى هذه الامارات » وان ضريبة الجزية كانت تؤخذ بالشدة وأحياناً بالاهانة ، وان الخلافات بين المسلمين والهندوس كان يفصل فيها طبقاً للشريعة الإسلامية ولذلك فان الهندوس كانوا يخسرون حقوقهم » .

هذه هي الأسباب في نظر الدكتور ايشوري براشاد التي حالت دون تحقيق المسلمين لأهدافهم .

ولكن في الحقيقة أن هذه الفتوحات جلبت معها منافع عديدة إلى الهنـــد

---

(١) Lane Pole Medival India P. 56

نذكر منها أولاً أن الهند كانت تخوض آنذاك الحرب الأهلية الطائفية والعنصرية حتى آلت البلاد إلى الزوال السياسي والتخلف الحضاري والإفلاس الخلقي إلى درجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الهند ، وقد فتحت هذه الانتصارات العربية نافذة جديدة إلى القيم المعنوية مثل المساواة والعدالة الاجتماعية والتوحيد والمثل العليا ، وأزالت جميع الفروق الطبقية وقد اعترف الرئيس الراحل جواهر لال نهرو بذلك في كتابه قائلاً : « ان دخول الاسلام له أهمية كبرى في تاريخ الهند إذ أنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي ، ان نظرية الآخرة الاسلامية والمساواة التي كان يؤمن بها المسلمون أثرت في أذهان الناس تأثيراً عميقاً ، وكان أكثرهم خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرمهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية »[١] .

وقد اتهم الدكتور ايشوري براشاد المسلمين العرب بأنهم أهانوا المذهب الهندوسي ونهبوا كنوزهم .

فقد كان من الممكن لنا أن نقبل هذا القول لو كان مؤيداً بالدليل ، ولكن في نفس الوقت فقد أكد جماعة من المؤرخين الغير المسلمين بأن العرب أظهروا تسامحاً كبيراً تجاه الرعايا الوثنيين ولم يجبروا أحداً على الإسلام بل بعكس ذلك قد أظهروا تسامحاً كبيراً وأعطوهم حرية كاملة في شئونهم الدينية وإقامة شعائرهم على رءوس الأشهاد حتى صرحوا لهم باصلاح وترميم المعابد التي انهدمت في ثنايا المعركة[٢] .

ان المؤرخ الانجليزي لين بول والدكتور ايشوري براشاد اتفقا بأنهما لا يجدان أي تأثير عربي إسلامي في الهند .

ولكن المستشرق الانجليزي ارنولد يصرح عن تأثير المسلمين في الهند بقوله :

---

(١) Jawahar Lal Nehru, Discovery of India. P. No 335

(٢) جورج حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ترجمة : د . يعقوب بكر .

« ان الاسلام في الهند أعطانا صورة واضحة للتنظيم والوحدة . لأن الهندحرمت منها منذ قرون ولذلك تمزقت فيها الوحدة السياسية والاجتماعية . وأما الاسلام فقد جعل التنظيم والوحدة من صميم أصوله وأسسه التي بنى عليها الدين الاسلامي إذ فرضها حتى في العبادات مثـــل الصلاة والصوم والزكاة والحج حيث نراها تتجلى بابدع مظاهرها وهذا هو السبب في أن جماعة صغيرة من المسلمين خرجت من الجزيرة العربية واكتسحت دولاً عظيمة مثل الامبراطوريـــة الايرانيـــة والرومانية »(١) .

وذهب إلى نفس الإتجاه أحد مفكري الهندوس : واسمه ن . س . مهتابان الاسلام فتح أمام طبقة المنبوذين نافذة إلى التطلع والطموح والحرية لأن هذه الطبقة قد حرمت من الحقوق الانسانيه منذ أمد بعيد فدخلوا في الاسلام أفواجاً لأن الاسلام يسوي بين الطبقات ويعطي مجال التقدم لكل فرد(٢) .

بعد هذا أبين بعض المظاهر الحضارية التي دخلت في ذلك العصر ومن أهمها: التعمير والبناء ونظام الضريبة والقضاء .

الحضارة العمرانية :

ان العرب قد شيدوا المساجد وتركوا الآثار الاسلامية الخالدة في ربوع الهند وأدخلوا لأول مرة الفن المعماري العربي في الهند الذي اشتهر فيها واختلط بالفن الهندي بمرور الزمن وأصبح له طابع خاص يتميز به عن الفنون الاسلامية الأخرى يقول الزعيم الهندي « جواهر لال نهرو » في وصف هذه الظـاهرة « فازدهرت بالقصور والمساجد وعيون المياه والأسواق وكان الماء فيها موفوراً ، وقـــد استخدم العرب في هذه الفترة فناً معمارياً خاصاً عرف بالفن المعـــماري الشرقي

---

(١) أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ص ٣٠٦ . ترجمة : د . حسن ابراهيم حسن و د . عبد المجيد عابدين .

(٢) مجلة (زمانة) الاردية الصادرة من كانبور في يوليو ١٩٣٥ .

الذي خلا من التعقيد والبهرجة ويمتاز بالرونق والبساطة والجمال . وقد دخل هذا الفن الهند ولكنه تأثر بالفن الهندي وظهر مزيج من الفنين » (١) .

ان المؤرخين العرب ذكروا بعض مظاهر الفن المعماري وأهمها : تعمير المساجد.

ان والي السند هشام بن عمرو التغلبي أرسل جيشاً بقيادة عمرو بن جمل إلى القندهار وفتحها وبنى هناك مسجداً (٢) .

ان الاسماعيليين عندما تغلبوا على ملتان بنوا هناك مسجداً (٣) ان فضل بن ماهان الذي أعلن حكومته في سندان أنه بنى مسجداً هناك (٤) لاتوجد حكومة عربية في قنوج ولكن المسلمين في الأغلبية ولذلك فقد بنوا هناك مسجداً (٥) .

ومن ناحية أخرى ان المسلمين العرب قد عمروا بعض المدن في ذلك الوقت يذكر المؤرخ البلاذري انه عندما تولى عمران البرمكي ولاية السند سنة ٢٢٠هـ هناك تمردت قبيلة الزط ولكنه ذهب بجيشه إلى قيقان وأخمد هذا التمرد وشيد هناك مدينته التي أسماها « البيضاء » (٦) .

ان معلوماتنا عن هذه المدينة ناقصة حيث لم يذكرها أحد من المؤرخين سوى المؤرخ البلاذري ، ويظهر أن هذه المدينة لم تظفر بأية شهرة .

ان الاصطخري يذكر مدينة جندوار التي بناها المسلمون ويصف حالة المدينة بقوله : « وخارج الملتان على مقدار نصف فرسخ أبنية كثيرة تسمى جندراور

---

(١) Jawahar Lal Nehru Discovery of India P. No 30

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٢ . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣-١٠٩ .

(٣) البيروني : كتاب الهند ص ١٥٦ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٢ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٨٠ .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣١ .

وهي معسكر لامير لا يدخل الامير منها إلى الملتان إلا في الجمعة فيركب الفيل ويدخل إلى صلاة الجمعة [١] .

ان المسلمين العرب في نفس الوقت بذلوا جهدهم نحو إعادة بناء المدن القديمة مثلا ان دابيل كانت لها أهمية كبيرة منذ زمن طويل ولكن عندما فتحها العرب أعطوا لها منزلة كبيرة ويمكن لنا تقدير أهمية هذه المدينة في هذه الحادثة حيث يشار إلى أنه وقع هناك زلزال في سنة ٢٨٠هـ دمر هذه المدينة وأخرج من أنقاضها مائة الف وخمسون جثة » [٢] .

ولكن بعد هذه الحادثة عمرها العرب من جديد ، يقول المقدسي عن دابيل « ودبيل بحرية قد أحاط بها نحو من مائة قرية أكثرهم كفار كلهم تجار كلامهم سندي وعربي » [٣] .

يقول صاحب «لب سنده» خان بهادر خدادار ان قلعة بكهر شيدها العرب في سنة ٣٣٣ هـ وعمارة « وردكاه خنر » في سنة ٣٤١ هـ ، وأن هذه العمارة تقع على ساحل نهر مهران [٤] .

نظام البريد :

وقد وجه العرب بعض جهودهم لتنظيم البريد ، فمن المعروف ان الحجاج بن يوسف الثقفي قد اتخذ مقراً له في مدينة واسط التي كانت تقع بين البصرة والكوفة ومن ناحية أخرى فان محمد بن القاسم كان يتجول في بقاع السند وكان يوجد بينهما اتصال قوي بالبريد [٥] .

---

(١) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٧٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٧—١٦٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٨١ .

(٣) بشارى المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٧٩ .

(٤) خان بهادر خدا داز : لب سنده ص ٩٥ (بالفارسية) .

(٥) مير علي مير : تحفة الكرام ص ١٣ .

ولكن عندما ندخل في العصر العباسي نرى أن نظام البريد كان محكماً جداً وان الخطابات كانت ترسل بالخيول وزيد عدد الخيول في المدن الرئيسة وأن هذه الخيول كانت تقطع مسافة خمسة أيام في يوم واحد . وان الخطابات كانت ترسل من بغداد إلى البصرة ومن البصرة إلى الأهواز ثم شيراز ثم سرجان ومن هناك إلى نرماشر ثم فهرج ومن هناك إلى مكران ثم كير (كيج) ومن هناك إلى ارمائيل ثم إلى دابيل ومن هناك إلى نيرون ثم إلى المنصورة ومن هناك إلى ألور ثم إلى ملتان [1] .

من المعروف ان المسافة بين البصرة إلى الملتان كانت أكثر من الف وأربعمائة ميل ولكن الخيول كانت تقطع هذه المسافة خمسة أيام في يوم واحد .

يمكن لنا أن نقدر بهذا أن النظام البريدي في الهند في العصر العباسي كان بالغ التنظيم .

نظام الضرائب :

يقول المؤرخ الانجليزي اليوت : بأن حكام المسلمين العرب أعلنوا ان من شاء الاسلام ومن شاء بقي على دينه على شرط أن يدفع الجزية وحددوا مقدار الجزية في ثلاثة طبقات :

١ - أصحاب الثروة والمال كانوا يدفعون ٤٨ درهماً .

٢ الطبقة المتوسطة تدفع ٢٤ درهماً .

٣ - الطبقة الأدنى ١٢ درهماً .

ومن اعتنق الإسلام أعفي منها .

أضاف هذا المؤرخ قائلا : ان حكام العرب لم يأخذوا الأراضي والعقارات

---

(١) مير علي مير : تحفة الكرام ص ١٣ .

من غير المسلمين ، بل تركوا هذه الأشياء على حالتها [١] .

ان الدكتور ايشوري براشاد قد وضح نظام الجزية بعض التوضيح فهو يقول ان نظام الجزية كان ينفذ على الوجه التالي :

ان الأراضي المروية من الأنهار الحكومية كان يؤخذ عليها الخمسان في إنتاجها من القمح ، والأراضي المروية بغير الأنهار الحكومية كان يؤخذ منها الربع وأما الأراضي المزروعة بالثمار فكان يؤخذ منها النصف ، وأما الأراضي التي تنبت تلقائياً فكان يؤخذ منها الخمس .

القضاء :

ان الأمور العدلية كانت تدخل في إدارة القاضي وفي نفس الوقت هو يكون مشرفاً على المدارس وان القاضي كان يرشح من دار الخلافة [٢] .

وان هذا التقليد استمر إلى منتصف القرن الرابع الهجري [٣] .

وكان يوجد هناك قضاة معروفون بلقب (هنرمند) وهي كلمة فارسية معناها : صاحب الجوهر ، وانها كانت لقباً لهؤلاء القضاة الذين كانوا يحكمون بين المسلمين في معاملاتهم في الولايات الغير مسلمة .

يقول صاحب عجائب الهند انه كان يوجد في جمبور هنرمند الذي يدعى عباس بن ماهان وان حوادث السرقة والنهب فوضت في أغلب الأحيان إلى هذا القاضي الذي كان يحكم بينهم على حسب ما جاء في الشريعة الإسلامية [٤] .

وان المؤرخ المسعودي يذكر هنر مند آخر كان يدعى أبو سعيد معروف بن زكريا الفائز [٥] .

---

(١) Eliat History of India P. No. 182

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢-٣٨٠ .

(٣) جج نامة ص ١ .

(٤) بزرك بن شهريار : عجائب الهند ص ١٤٤ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ١-٢١٠ .

نشاط الهنود السياسى في بغداد

في هذا العصر

ان الهنود قدموا خدمات جليلة من الناحية السياسية في ذلـــك العصر في بغداد ، وينبغي أن نعطي اهتماماً كبيراً لأسرة البرامكة التي لعبت دوراً كبيراً في سياسة العالم الإسلامي من بغداد والتي سنقدم الأدلة على أنها هندية الأصل .

وأسرة البرامكة أسدت خدمات عظيمة إلى خلفاء العباسيين منــــذ مطلع دولتهم حتى عهد هارون الرشيد .

ان الباحثين الهنود وعلى رأسهم الأستاذ : السيد سليمان الندوي انهم كانوا من أصل هندي ، ان الأدلة التي ذكرها الاستاذ يثبت بها انهم من أصل هنـــدي تحتاج منا إلى وقفة .

المعروف عن البرامكة أن أجدادهم كانوا يتولون قبل الإسلام معبداً للمجوس ببلخ ، وكان (برمك) لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى (نوبهار) أما أصل كلمة (برمك) من ناحية اللغة فلم يتعرض لها القدماء وجاء المتأخرون من المؤرخين وأصحاب المعاجم من الفرس فقالوا ان الكلمة مشتقـــة من المصدر (برمكيدن) أي المص بالفارسية ، وأيدوا قولهم هذا برواية مؤداها أن أولاد (برمك) أسلموا بعد أن ضرب قتيبة بن مسلم (نوبهار) في سنة ٨٦ ﻫ ، وقــد وقف البرمكي الأول أمام الخليفة المنصور واضطر إلى الاعتراف بأنه كان يحمل معه سماً في خاتمه حتى يمصه لو اقتضى الأمر ، وقد نطق كلمة يمصه بالفارسيـة

(برمكيدن) [1] ، ولكن هذه الرواية مختلقة . بدليل ان المؤرخين يجمعون على أن (برمك) لقب قديم كان يلقب به رؤساء (نوبهار) قبل الاسلام بكثير وقال بعض آخرون أن برمك اسم لمكان والنسبة اليه (برمكي) وأتى ابن الفقيه الهمداني وياقوت الحموي بتعليلين في منتهى الغرابة حينما قال الأول أن (برمك) يعني حاكم [2] وذلك لأن معبد بلخ كان قد أنشىء ليكون نظيراً لمكة وقال الثاني (أن (بر) هنا بمعنى الابن وأن برمكة يعني ابن مكة) [3].

وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء . وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق مؤرخ (البرامكة) باللغة الاردية إلى أن أصل (برمك) هو (برمغ) بر يعني كبير ومغ (Magas) باليونانية ومجوس بالعربية يعني عبدة النار وعلى هذا يكون برمك معناه رئيس المجوس ، وهذا القول يظهر أنه قريب جداً إلى الصواب إلا أنه قد بقي أن نتأكد ما إذا كان معبد بلخ معبد للمجوس يعبدون فيه النار أو معبداً للبوذيين يعبدون فيه الأصنام أو (البد)على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ أن بأيدينا وصفاً مسهباً لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياقوت الحموي إذا أمعنا النظر فيه يمكننا من الاهتداء إلى جواب على هذا السؤال وهاك ما يقوله ياقوت عنه .

قال عمر بن الأزرق الكرماني « كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم عبادة الأوثان فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ، وما كانت من قريش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار ومعناها بيت الله الحرام - ونصبوا حوله الأصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن

(١) تاريخ ضياء برني(بالفارسية) ص ٨٠ .
(٢) ابن الفقيه الهمداني : كتاب البلدان ص ٣٢٣ .
(٣) معجم البلدان (نوبهار) ج ٨ .

« نو » الجديد وكانت سنتهم إذا بنوا بناء حسناً أو عقدوا باباً جديداً أو طاقاً شريفاً كللوه بالريحان ويتوجون ذلك بأول ريحان يطلع في ذلك الوقت فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار في نوبهار»[١] إلى آخر هذا الوصف لياقوت في معجم البلدان (النوبهار) يطابق لفظاً ما أورد ابن الفقيه الهمداني [٢] بحيث يصبح من المؤكد انهما استقياه من مصدر واحد وكذلك يوافق هذا الوصف مع ما جاء في مروج الذهب [٣] وآثار البلاد للقزويني [٤] — ومما يجدر بالملاحظة والتنبيه عليه في هذا الوصف ما يأتي :

أولاً : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال أن النوبهار كان بيتاً من بيوت النار .

ثانياً : بالعكس نص فيه على أن معبد بلخ لم يتجاوز أن يكون بيتاً لعبادة الأوثان التي كان من بينها (الصنم الأكبر) الذي كانت سنتهم اذا هم وافوه أن يسجدوا له .

ثالثاً : من المعروف أن ملوك الهند والصين وكابل شاه وتيزك طرخان ملك تركستان غضبوا من قبول البرامكة الاسلام وزحفوا اليهم بجيوشهم ونكلوا بهم وهؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذي [٥] .

رابعاً : ان (الاستني) كما ورد في نص معجم البلدان ليست إلا أشكالاً محرفة لكلمة استب بالأصل (استوب) (Stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي أودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبعثرة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ص ٨ (نوبهار) .

(٢) كتاب البلدان ٣-٣٢٣ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ١-: ٣٧ .

(٤) القزويني : آثار البلاد ص ٢٢١ .

(٥) معجم البلدان ٨-٣٢٣ .

موجودة في الهند منها (استوب سانجى) في وسط الهند ، ثم هناك أدلة أخرى ترشدنا إلى الجزم بأن معبد بلخ إنما كان معبداً للبوذيين ، وهذه الأدلة هي :

(١) ان بلخ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر وقد كان أكثر أهل ما وراء النهر قبل الإسلام يعتنقون مذهب البوذية [١] .

(٢) يزيد المسعودي في وصف النوبهار فيقول « وقد ذكر بعض أهل الرواية والنفير أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتاباً بالفارسية ترجمتـــه قال بوذا سف أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال عقل وصبر ومال وإذا تحته بالعربية كذاب بوذا سف الواجب على الحر إذا كان معـــه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان [٢] .

وقد وردت هذه الحكاية أيضاً في « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار »[٣].

وقد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد البوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلخ في القرن السابع الميلادي [٤] .

ان المؤرخ زخاؤ قد أشار إلى أصل النوبهار وذكر أنهـا كانت نووهار وكان معبداً للبوذيين [٥] .

من المعروف أن هذه الأسرة قد واجهتها بعض المشاكل بسبب قبولهم الدين الاسلامي وان أبناء برمك العشرة قد قتلوا في هذا السبيل وقد بقي طفل صغير خالد وامهم ، ولذلك لجأت زوجة برمك مع طفلها الصغير إلى كشمـــير التي كانت تعتبر مركزاً هاماً للبوذية وتلقى الطفل علومه الهندية بأيدي أساتـــذته الهنود وقد بقي على مذهب البوذية .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٤ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب ١-٣٧٥ .
(٣) ابن فضل الله العمرى : ١-٢٢٤ .
(٤) دائرة المعارف الاسلامية ١-٦٦٤ .
(٥) Zakhow History of India P. No. 31

ففي هذا المجال هناك بعض الأسئلة تدور في أذهاننا لمــاذا هربت زوجة برمك إلى كشمير ؟ كان الميسور لها أن تذهب إلى إيران وتعيش مع أهل ملتهم أو يمكن لها أن تلجأ إلى المسلمـــين ، ان هذا يرشدنا إلى أن هذه الأسرة كانت أصلها من الهند ولذلك لجأت زوجة برمك إلى كشمير [١] .

وللبرامكة علاقة وطيدة بالدعوة العباسية التي تمخضت عنها الدولة العباسية بالعراق إذ انهم انضموا إلى المنظمات السرية للدعوة العباسيـة ، وكان خالد بن برمك أول من انضم لهذه الدعوى [٢] ، وقد قدم خدمات جليلة أثنــاء الدعوة فكان يتقلد ولاية كل اقليم تفتحه جيوش الدعوة [٣] .

وعندما بويع أبو العباس السفاح بالخلافة اتخذ من خالد البرمكي وزيراً له ، استمر في الوزارة إلى أن مات في عهد الخليفة المهدي سنة ١٦٢هـ. فكان يصرف أمر الدولة بكل دقة وأمانة طيلة أيام السفاح والمنصور وأول أيام المهـدي – كما أن خالد أول من جعل الديوان بدفاتر [٤] .

أما ابنه يحيى فقد كان ذا حظ كبير في بلاط المنصور والمهدي ، وفي عهـد الرشيد تقلد هو وابناه الفضل وجعفر جميع مقاليد الدولة حيث جاءت جميـع أخبار وروايات هذه الأسرة في المصادر والمراجع القديمة والحديثة .

فقد قام هؤلاء بالنيابة عن الرشيد بتصريف أمور الدولة على أحسن مايرام، وقد لعبوا دوراً مجيداً في سياسة العالم الاسلامي ، يشاد لهم في ذلك كما جاء في كتب التاريخ بسياسة التهدئة والمهادنة والمصالحة بين المسلمين فأخمدوا كثيراً من الحركات والثورات والتمردات بواسطة المصالحة السلمية والتهدئة بين المسلمـين ، كما أنهم قاموا بخدمات جليلة للعالم الإسلامي آنذاك . استمروا في هذه الحال إلى

---

(١) السيد ـ سليمان الندوى : مقالات ص ١٤٠ .

(٢) د . أحمد شلبي : موسوعة الحضارة والتاريخ ٣-٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ٣ / ٢٨٦-٢٨٧ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٨٩ .

سنة ١٨٧ هـ حيث نكل بهم من قبل الخليفة هارون الرشيد لعوامل كثيرة تجمعت ضدهم ، ذكرتها المصادر القديمة والدراسات الحديثة ، وأهم عامل فيها (دور الوشاية والدس الذي لعبه الفضل بن الربيع وأشياعه « حيث كانوا يعظمون صغيرها ويبرزون خفيها لدى ولي الأمر »)[١] .

فصورت هذه الوشاية وذلك الدس أسباباً مختلفة كانت مسماراً حقيقياً دقت في تابوت البرامكة ، يختفي وراءه أمران خطيران أحدهما « يسمى العرض والثاني يحدد التاج »[٢] .

غير أسرة البرامكة كانت هناك شخصيات أخرى من الهنادكة الذين أدوا خدمات سياسية في بغداد وكان منهم ابن شاهك الذي أسدى خدمات جليلة للعباسيين منذ أول يوم قيام الدولة العباسية وكان الخلفاء يثقون فيه وثوقاً كاملاً وقد عين على الحرس وعلى الجسر أيام الخليفة هارون الرشيد وقد استمر في خدمة الخلفاء العباسيين منذ عهد المنصور فلما سجن (المهدي) الإمام الحسين ابن موسى أسند إلى السندي شئونه ورعايته ، وقد كان كاتم أسرار الخليفة هارون الرشيد وهو الذي أمره هارون الرشيد بقتل وصلب جثة جعفر البرمكي[٣] .

وكذلك تقلد أبو حارثة الهندي شئون الخزانة أيام المهدي[٤] وكان السندي ابن يحيى الحرشي من أبر الشخصيات في الدولة العباسية وأشهر الخبراء في الشؤون السياسية تزوج (فريدة) المغنية الشهيرة في بلاط العباسيين وكان من المقربين إلى الخليفة .

ان الخليفة هارون الرشيد عينه حاكماً على اليمامة والبحرين وعمان حيث قمع

---

(١) د . أحمد شلبي : موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية ٣-٢٩٧ .
(٢) المصدر نفسه ٣-٣٠٥ .
(٣) اطهر مباركبورى : رجال السند والهند ص ١٤٥ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٧٠ .

كثيراً من الثورات وأعاد إلى البلاد القوة والسلام وبهذا شارك في بنـــاء الدولة العباسية ومنحها القوة والمجد [١] .

وكذلك ابراهيم السندي أسدى خدمات جليلة في شتى نواحي الحياة كما كان من الدعاة المخلصين لإنشاء الدولة العباسية [٢] .

وان خيار بن يحيى السندي قد تولى منصباً كبيراً في عهد الخليفـة المأمون وان السندي مولى حسين الخادم أيضاً قد تقلد منصباً في عهد الخليفة الواثق بالله وكان يدير أمور الدولة على أحسن وجه [٣].

يظهر من هذا أن الهنود كانوا مخلصين للخلفاء العباسيين ولكن من ناحيـــة أخرى فإن بعضاً منهم ساعد بعض أعداء الخلافة العباسيـــة ولذلك نجد نصر السندي قد ساعد صاحب الزنج في القرن الثالث الهجري وان عـدداً من الهنود اشتركوا في اغتيال عامل الخليفة عمر بن نهيان الطائي الذي كان يحكم عمان [٤]. ثم محمد بن عثمان الزطي وسماق الزطي وقد ملكا البصرة في القرن الثاني الهجري ولذلك بعث الخليفة المأمون في سنة ٢٠٥ ثم الخليفة المعتصم سنة ٢١٩ هـ جيشاً لإخماد هذه الحركة [٥] .

لا نجد بعد ذلك غير العدد المذكور من الهنود من تمرد ضد الخلافـة بل انهم كانوا أوفياء للخلافة العباسية .

---

(١) اطهر مباركبورى : رجال السند والهند ص ١٤٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٠ .
(٣) رجال السند والهند ص ٨٠ .
(٤) نفس المصدر ص ٨٣ .
(٥) نفس المصدر ص ٨٨ .

الفصل الثـــاني

الامارات الاسلامية العربية المستقلة بالهنـــد

الامارات الاسلامية العربية
المستقلة بالهنـــد

تكلمت في الفصل الأول عن العلاقات السياسية بين الهند والخلفاء العباسيين، من المعروف كما أوضحت ان هذه العلاقات قد انقطعت تماما بعد خلافة المتوكل وأنشئت الدويلات المستقلة التي كان لها استقلالها الذاتي وكانت هذه الدويلات في الوقت نفسه تعتبر الخلفاء العباسيين أصحاب السيادة الروحية .

ان الدارس للتاريخ يرى أنه كانت هناك حكومات إسلامية غير عربية في الهند وأن المؤرخين الهنود كتبوا كثيراً في هذا الصدد ، ولكن في نفس الوقت كانت هناك علاقة سياسية بين تلك الحكومات والخلفاء العباسيـــين ، ولكن المؤرخين الهنود والعرب على السواء لم يلقوا ضوءاً كافياً على هذه العلاقة .

بعد دراسة كل ما كتب عن تاريخ الهند نجد بعض العـــلامات التي تشير إلى وجود امارات مستقلة عربية إسلاميــة في ذلك الوقت . ان المؤرخين الهنود لم يكتبوا في هذا الموضوع شيئاً على الإطلاق لأنهم كانوا يعتقدون أن الحكومة الإسلامية قد قامت في الهند بعد حملة محمود الغزنوي ثم استيلاء شهـاب الدين الغوري على جزء كبير من الهند ، وتعين نائبه قطب الدين على تلك المناطق المفتوحة وكل ما بقي من البلاد قد حقق فتحه علاء الدين الخلجي .

ان تاريخ فرشته يعتبر مرجعاً لتاريخ الهند ولكن صاحبــه لم يشر إلى هذه الامارات الاسلامية على الاطلاق ، والسبب في رأيي أن هذا المؤرخ قد اعتمد كثيراً على المؤرخين الفرس .

انني قد اعتمدت في هذا الفصل على كتب المؤرخين العرب وقد أعطى هؤلاء المؤرخون بعض الإشارات إلى وجود امارات إسلامية مستقلة وفي ضوء هذه الإشارات نثبت تلك الامارات التي كانت موضع النسيان عند كثير من المؤرخين.

قبل أن أدخل في الموضوع لا بد لي أن ألقي نظرة عامة على العالم الإسلامي لأن ذلك يساعدنا على فهم تاريخ هذه الامارات .

يتضح للدارس أن الخلافة الاسلامية في منتصف القرن الثالث الهجري كانت تواجه الثورات الداخلية وأن الدويلات كانت تستقل عن الخلافة وتعلن استقلالها الذاتي ان مؤامرة العلويين ضد العباسيين كانت ناجحة وانها قد امتدت من شرق العالم الإسلامي إلى الغرب .

ان عبد الله الشيعي قد أعلن الدعوة لصالح عبد الله المهدي ونتيجه لذلك فان الفاطميين قد استولوا على افريقية ومصر وفي طبرستان أعلن داعي العلويين حسين بن زيد بن محمد دعوته واستولى على طبرستان .

وفي سنة ٢٩٠ ﻫ أعلن يحيى بن الحسين بن القاسم الموسى ابراهيم بن طباطبا العلوي الدعوة لصالح الفرقة الزيدية ولذلك فقد أقامت حكومة زيدية في اليمن.

وفي سنة ٢٥٥ ﻫ استولى صاحب الزنج على البصرة وفي سنة ٢٦١ ﻫ أقام بنو سامان حكومتهم فيما وراء النهر ، وظهرت في سنة ٣٣٠ ﻫ حكومة جديدة في الديلم تعرف في التاريخ بحكومة بني بويه .

ان هذا العرض يشير إلى أن هناك حكومات مستقلة قد قامت من الشرق إلى الغرب وان الخليفة كان يحكم في العراق فقط وأن الهند قد تأثرت بهذه التطورات التي طرأت على العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، ولذلك إن الأمراء العرب قد قاموا دويلاتهم المستقلة في الهند ولكن لا بد أن نلاحظ أن الحكومات التي امت في الهند كانت عربية محضة وأن سكانها الأصليين لم يعانوا التمرد ضد الخلافة بخلاف المناطق الأخرى التي كان سكانها الأصليين قد أقاموا حكوماتهم

مثل آل صفار وبني سامان والديالمة والغزنوية والغورية .

من الواضح أن عمال السند كانوا مشغولين في معظم أوقاتهم في إخماد الثورات ضد الخليفة العباسي وكان هناك خلاف بين اليمنية والمضرية وأن كلا منهما كان يريد السيطرة على الحكم ، كانت هناك التنظيمات السرية للخوارج والروافض والإسماعيلية كانوا ينشرون دعوتهم سراً ، ومن ناحية أخرى كانت هناك بعض القبائل الهندية مثل الزط والميد كانوا يرفعون علم الثورة ضد العمال العباسيين . والمقصود من هذا أن الجو في السند كان مشحوناً بالخطر وأن العمال العباسيين كانوا يقضون معظم أوقاتهم في إخماد هذه الثورات والخلافات ولذلك فان العمال العباسيين لم يتجهوا خارج السند .

الدويلة الماهانية سنة ١٩٨هـ :

في مثل هذه الظروف قد أقام مولى بني سامة فضل بن ماهان حكومته في عصر المأمون في السندان بعيداً عن السند تماماً ونلاحظ أن السندان [١] لم يكن لها أي علاقة مع الخلفاء العباسيين بل انها كانت من أراضي كجرات ملك بلهرا [٢] ونلاحظ أن المسلمين كانوا يحاولون السيطرة على هذه المنطقة من عهد عمر رضي الله عنه [٣] وأن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور كان أول من أرسل جيشاً إلى هذه المنطقة [٤] ولكن لم يتحقق هدف العباسيين إلا في عهد

---

(١) يقول المؤرخ القلقشندي عنها « وهي مدينة على ثلاثة أيام من تانة وبينها وبين المنصورة خمسة عشر فرسخاً وهي مجمع الطريق وهي بلاد القسط والقنا والخيزران »صبح الأعشى ٥-٧٢.

تقع حالياً على بعد ١٤٥ كيلو متراً شمالا من محطة السكة الحديدية المركزية في بومباي بين مهارشترا وكجرات ويسميها المؤرخون المسلمون (سندان) ولكنها تعرف الآن باللغة المحلية في الهند باسم سنجان كما ذكرها المؤرخ أبو الفضل أئين أكري ٢-١١٥ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ١-٢٥٤ .

(٣) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٢١ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٣١ .

المأمون عندما استطاع فضل بن ماهان أن يفتح هذه المناطق .

ان فضل بن ماهان كان سياسياً ناجحاً ولذلك لم يقطع صلته مع الخلفاء العباسيين رغم أنه كان حراً في حكمه تماماً، ان الفضل بن ماهان قد حقق بهذا هدفين أولاً إرضاء الخليفة العباسي وضم هذه المنطقة إلى خلافة المسلمين ثانياً انه كان مستقلاً في حكمه تماماً رغم ارتباطه الاسمى بخليفة العصر .

الدليل على قيام الدولة الماهانية :

ومما قاله البلاذري في هذا المجال « وحدثني منصور بن حاتم قال : كان الفضل بن ماهان مولى بني سامة فتح سندان وغلب عليها وبعث المأمون بفيل وكاتبه ودعا له في مسجدها جامع اتخذه بها ، فلما مات قام محمد بن الفضل بن ماهان مقامه فسار في سبعين بارجة إلى ميد الهند فقتل منهم وافتتح فالي ورجع إلى سندان وقد غلب عليها أخ له يقال له ماهان بن الفضل وكاتب أمير المؤمنين المعتصم بالله وأهدى اليه ساجاً لم ير مثله عظماً وطولاً ، وكانت الهند في أمر أخيه فمالوا اليه ، فقتلوه وصلبوه ، ثم ان الهند بعد غلبوا سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجتمعون فيه ويدعون للخليفة [1] .

ان هذا النص يشير بصراحة إلى أنه كانت هناك الدويلة التي أقامها فضل بن ماهان بعد نصره على سندان ولكن البلاذري لم يشر كيف فتح فضل بن ماهان السندان هل كانت هناك أية مقاومة من جانب سكانها الأصليين ؟ ان القرائن تشير إلى أنه لم تكن هناك أي مقاومة من جانب سكان السندان بل ان فضل بن ماهان قد فتح البلاد صلحاً للأسباب الآتية :

١) لو كانت وقعت أية مقاومة لذكرها المؤرخ البلاذري .

٢) من الواضح أن العمال العباسيين قد حاولوا بقدر إمكانهم أن يسود السلام

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٣ .

والأمن في المنطقة ، ومن ناحية أخرى فان العمال العباسيين في الهند كانوا غير متعصبين ضد الديانات الأخرى .

ولا نجد في كتب التاريخ أي تصرف منهم يشير إلى تعصبهم ، بخلاف محمود الغزنوي الذي لم يراع تعاليم الإسلام في هذا الصدد ولذلك فان المؤرخين الهندوس والانجليز قد هاجموه ونحن المسلمين لا نستطيع دائماً أن ندافع عن تصرفاته فقد هاجم معبد سومنات ونهب كنوزه ، ان هذا التصرف لا يليق بالتعاليم الاسلامية ، ولكن الفاتحين العرب كانوا غير متعصبين وراعوا تعاليم الاسلام تماماً خصوصاً ان العامل العباسي هشام بن عمرو التغلبي ونائبه قد أقاما أعمالاً كثيرة لصالح البلاد ولذلك فان الأمراء والسكان المجاورين للسند سمعوا عن هذا الخير والبركة ورحبوا بالفضل بن ماهان بدلاً من أن يثوروا ضده ، ان المؤرخ البلاذري يقول: « ثم ان الهند بعد وغلبوا على سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجمعون فيه ، ويدعون للخليفة » . ان هذا النص يؤيد ما نذهب اليه لأنه لو غلب فضل بن ماهان على السندان بالقوة فلماذا أعطى الهندوس المسلمين الحرية في أداء شعائرهم الدينية والدعوة للخليفة ان كل هذا يشير إلى أن هذه الدويلة قد قامت بالصلح .

قال ياقوت الحموي عن سندان « قال نصر هي قصبة بلاد الهند ولا أدري أي شيء أراه بهذا ، فان القصبة في العرف هي أجمل مدينة في الكورة والناحية ولا تعرف بالهند مدينة يقال لها سندان تكون كالقصبة وإنما سندان مدينة ملاصقة بالسند بينها وبين الديبل والمنصورة نحو عشر مراحل ولم توصف صفة مايستحق أن تكون قصبة الهند » (١) .

ان نصر لم يقل بصراحة أن حكومة ماهان كانت على السندان ولكنه اعترف على الأقل بأنها كانت قصبة بلاد الهند التي تشير أهميتها ومن الجائز أنه يشير بهذا إلى حكومة ماهان حينما اعترف البلاذري بوجود حكومة الماهانية .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ـ١٥١ .

من الغريب أن ياقوت الحموي قد يبدي الشك في كلام نصر عن السنـــدان بالرغم من أنه قد اعتمد عليه كثيراً في كتابه حتى قال في مقدمة كتابه عن نصر « ألفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي فما اختلف وائتلف من أسماء البقاع فوجدته تأليف رجل ضابطه قد أنفذ في تحصيله عمراً وأحسن فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب نصر فقد نسبته اليه وأحلته عليـــه ولم أضع نصبه ولا أخملت ذكره وتعبه والله يثبه ويرحمه »[١] .

بعد هذا الكلام يبدي ياقوت الحموي الشك في كلام نصر بدون إبداء السبب وهذا كلام غير مفهوم على الإطلاق .

ان سندان كانت معروفة ومشهورة لذا زارها بعض الشعراء العباسيـــين وذكروها في شعرهم منهم البحتري وأبو العتاهية هذا دليل على أهميتها مما يرجح أنها كانت عاصمة في يوم ما .

قال البحتري :

ولقد ركبت البحر في أمواجه ... وركبت هول الليل في بياس
وقطعت أطوال البلاد وعرضها ... ما بين سندان وبين سجاس[٢]

وهكذا شاعر الزهد أبو العتاهية ذكر سندان في بيته :

ما على ذا كنا افترقنا لسندا ... ن وما هكـذا عهدنا الاخاء
تضرب الناس بالمهند البيض ... على غدرهم وتنسى الوفاء[٣]

على كل حال ان حضور الشعراء في هذه الدويلة وذكرها في شعرهم تشير على الأقل إلى أن المسلمين في هذه الدويلة كانوا أصحاب قوة وكانت لهم أهمية كبيرة.

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١-٨ .

(٢) المرجع السابق ٥-١٠٠ .

(٣) أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين : الأغاني ٤-٥٠ .

حكام الدويلة الماهانية :

ان التاريخ يشير إلى أن الذين حكموا هذه الدويلة كانوا ثلاثة أشخاص فقط :

١) مؤسس الدويلة فضل بن ماهان مولى بني سامة .

٢) محمد بن فضل بن ماهان .

٣) ماهان بن فضل بن ماهان .

يقول المؤرخ البلاذري عن مؤسس هذه الدويلة بقوله : « كان الفضل بن ماهان مولى بني سامة فتح سندان وولي عليها وبعث إلى المأمون رحمه الله بفيل وكاتبه ودعا له في مسجد جامع اتخذه بها »[١] .

ان عصر المأمون يبتدىء من سنة ١٩٨ ﻫ وينتهي في سنة ٢١٨ ﻫ ، ويظهر أن الفضل بن ماهان قد أقام هذه الدويلة قبل ولاية المأمون بقليل أو بعد ولايته .

على كل حال ان فضل بن ماهان لم يقطع صلته بالخلافة بعد إقامة هذه الدويلة بل انه كان يكتب إلى الخليفة الخطابات ويشيره في أمور الدولة ، وهكذا يدعو للخليفة في الخطب كما يظهر من كلام البلاذري وان فضل بن ماهان قد بنى مسجداً في سندان وان حكومته على هذه الدويلة كانت شخصية ، ولذلك بعد وفاة فضل بن ماهان تولى ابنه محمد بن فضل زمام الحكومة ، يقول البلاذري عن محمد بن الفضل بقوله : « فلما مات قام محمد بن الفضل بن ماهان مقامه فسار في سبعين بارجة إلى ميد الهند فقتل منهم خلقاً ، وافتتح فالي ورجع إلى سندان »[٢] .

ان المؤرخ البلاذري لم يشر إلى مدة حكومة محمد بن الفضل ولكن يظهر أن

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٣ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٣ .

الأمن والهدوء قد ساد في عصره ولذلك انه توجه إلى مناطق خارج السند وقضى على بعض قراصنة البحر الذين كانوا يسببون خسائر للتجار من عصر محمد بن القاسم بهذا يمكن لنا أن نقدر أن قوته البحرية كانت قوية .

وفي أثناء غياب محمد بن الفضل تسلط أخوه ماهان بن الفضل على السلطة يقول البلاذري عن هذا بقوله « ورجع إلى سندان وقد غلب عليها أخ له يقال له ماهان بن الفضل وكاتب أمير المؤمنين المعتصم بالله وأهدى اليه ساجاً لم ير مثله عظماً وطولاً وكانت الهند في أمر أخيه فمالوا عليه فقتلوه وصلبوه ، ثم ان الهند بعد وغلبوا على سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجمعون فيه ، ويهدى للخليفة »[1] يظهر في هذا النص ان ماهان بن الفضل قد اغتنم فرصة غياب أخيه وتسلط على الحكومة وانه كان يحاول أخذ الاعتراف من الخليفة المعتصم بالله لمشروعية هذا الاغتصاب ولذلك انه بعث اليه الهدايا ، ولكن الوقت كان في صالح محمد بن الفضل لأنه حاول أن يسود الأمن والسلام في المنطقة .

ثانياً : أنه قضى على هؤلاء القراصنة الذين كانوا بمثابة حظر للتجار وبهذه العملية قد ستر هؤلاء الناس الذين كانوا مقيمين حول سندان ولذلك تسلط ماهان بن الفضل على السلطة وقد اعتبر اغتصاباً وان الهندوس قد ثاروا عليه وصلبوه كما يقول المؤرخ البلاذري .

لعل هذه الدويلة قد انقرضت في سنة ٢٢٧ هـ في آخر عهد المعتصم بالله ولذلك لا نجد أي نشاط لهذه الدويلة بعد هذه الفترة على الاطلاق .

ان أمراء هذه الدويلة كانوا من أتباع أهل السنة والجماعة كما كان سادتهم بنو سامة ، ان أمراء بنو سامة كانوا يخطبون للخليفة على المنابر[2] نفس هذه

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٣ .

(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٧٥ .

الظاهرة نجدها عند أمراء الماهانية حتى ان اثنان منهم وهما فضل بن ماهان وماهان بن فضل قد بعثا بالهدايا الثمينة إلى الخلفاء العباسيين .

أثر الاسلام في سندان :

هل هذه الدويلة المسلمة العربية قد تركت أي أثر من الآثار الاسلامية في السندان .

في الحقيقة اننا لا نجد أي دليل مادي سوى المسجد الذي بناه مؤسس الدويلة فضل بن ماهان ، ولكن دلائل تشير إلى أن هذه الدويلة المسلمة قد تركت بعض الانطباعات الحسنة على غير المسلمين التي بقيت بعد انقراض هذه الدويلة وذلك رغم استيلاء الملوك الهندوكيين على السندان فقد تركوا للعرب المسلمين حرية كاملة في دينهم ومزاولة أعمالهم الدينية .

وقد زار سليمان التاجر هذه المنطقة بعد انقراض الدويلة الماهانية سنة ٢٢٥هـ وتحدث عن اطمئنان المسلمين في هذه البلاد وذكر أن أهلها كانوا أكثر الناس حباً للعرب »[١] .

يقول المؤرخ المسعودي في هذا الصدد « وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين إلا ليلهرا فالاسلام في ملكه عزيز مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ويملك الملك منهم الأربعين سنة والخمسين سنة فصاعداً وأهل مملكته يزعمون إنما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل وإكرام المسلمين[٢] .

في رأيي ان هذه الانطباعات التي تركتها هذه الدويلة لا تقل عن أي أثر إسلامي مادي .

---

(١) راجع رحلة سليمان التاجر .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ١-٧٤ .

الحكومة الهبارية في الهند سنة ٢٤٠ ﻫ

من المعروف أن السند كانت تعاني من الثورات الداخلية والخلافات القبلية كل يوم وان العمال العباسيين كان هدفهم الأساسي القضاء على مثل هذه التحركات ونشر السلام والأمن في المنطقة ولكن التاريخ يشير إلى أن هذه الخلافات لم تنته أبداً بل زادت حدتها حينما أيد العامل العباسي عمران بن موسى البرمكي العرب اليمنيين وأن رئيس الحجازيين عمر بن عبد العزيز الهباري رفع علم الثورة ضد العامل العباسي وقتله في سنة ٢٢٦ ﻫ يقول المؤرخ البلاذري في هذا الصدد « ثم وقعت العصبية بين النزارية واليمنية فسار اليه عمر بن عبد العزيز الهباري فقتله وهو غار » (١) .

ان النص للبلاذري يشير إلى أن عمر بن عبد العزيز كان قوياً إلى حد أنه تغلب على العامل العباسي وقتله وبذلك مهد الجو في السند لصالحه .

ولكن هناك سؤال متى تولى عمر بن عبد العزيز ولاية السند ؟ في الحقيقة نجد في هذا الصدد تناقض في كلام المؤرخين العرب وهنا سننقل ما قاله المؤرخون وبعد ذلك نقرر ما هو الصواب .

يقول ابن حزم في جمهرة الأنساب « عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبار بن الأسود صاحب السند ، وليها ابتداء الفتنة اثر قتل المتوكل وتداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم في زماننا هذا أيام محمود سبكتكين صاحب مادون النهر من خراسان ، وكانت قاعدتهم المنصورة وكان

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٣ .

جده المنذر بن الزبير قد قام بقرقيا أيام السفاح فأسر وصلب »[1] .

يقول المؤرخ اليعقوبي « توفي هارون بن أبي خالد عامل السند سنة ٢٤٠ هـ وكتب عمر بن عبد العزيز السامي المنتمي إلى سامة بني لؤي وصاحب البلد أنه ان ولي البلد فأقام به وضبطه فأجابه إلى ذلك فأقام طول أيام المتوكل »[2] .

نلاحظ أن ابن حزم يقول ان عمر بن عبد العزيز تولى ولاية السند بعد قتل المتوكل (٢٤٧ هـ) ولكن المؤرخ اليعقوبي يقول انه تولى ولاية السند في أيام المتوكل بعد وفاة عامل السند هارون بن أبي خالد (٢٤٠ هـ) ولكن في الحقيقة لا يوجد هناك أي تعارض لأننا نسلم قول اليعقوبي انه تولى ولاية السند في عهد المتوكل خصوصاً عندما طلب عمر بن عبد العزيز من الخليفة أن يوليه ولاية السند ويمكن أن نفسر قول ابن حزم على أساس ان عمر بن عبد العزيز قد استقل بحكومته ولم تكن هناك أي صلة غير الصلة الرسمية مع الخلافة العباسية .

ان المؤرخ اليعقوبي يقول « عمر بن عبد العزيز السامي المنتمي إلى سامة بن لؤي » يظهر أن اليعقوبي قد اشتبه بين الأمراء الهباريين وبين أمراء سامة بني لؤي لأن أمراء سامة بني لؤي كانوا يحكمون الملتان وكانت ليست لهم صلة بالسند[3] .

على كل حال أولاً نلقي نظرة عامة عما قاله المؤرخون عن هذه الدويلة .

يقول مصعب الزبيري عن عمر بن منذر « كان قد غلب على السند »[4] .

يقول زبير بن بكار في كتابه « جمهرة نسب قريش وأخبارها » عمربن المنذر كان قد غلب على السند ، وكان لا يدخلها والي إلا أن يتلقاه عمر بن المنذر فاذا

---

(١) ابن حزم : جمهرة الأنساب ص ١٠٩ و ١١٠ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣-٢١٥ .

(٣) الاصطخرى : المسالك والممالك : ص ١٧٥ .

(٤) كتاب نسب قريش ص ٢٢٠ .

تلقاه عمر بن المنذر في جماعة دخلها والي السند اليوم من ولدعمربن المنذر»[١].

ان هذين المؤرخين قد ذكروا اسم جده منذر بدل ذكر اسم أبيه عبدالعزيز ولكن ابن حزم وبعده جميع المؤرخين ذكروا اسم عمر بن عبد العزيز لأن جده منذر قد قتل في أيام السفاح كما يرى ابن خلدون[٢].

يقول ابن حوقل « آل سكان السند من المسلمين وان ملكهامن قريش الذي ينتمي إلى آل هبار بن أسود »[٣].

يقول الاصطخري عن السند « وأهلها مسلمون وملكهم من قريش يقال انه من ولد هبار بن الأسود تغلب عليها هو وأجداده إلا أن الخطبة بها للخليفة »[٤].

يقول المقدسي البشاري « وأما المنصورة فعليها سلطان من قريش يخطبون للعباسي »[٥].

ان هذه الأقوال تشير إلى أن هناك دولة في السند كان يحكمها شخص من قريش .

ان عمر بن عبد العزيز كان سياسياً ناجحاً ولذلك نرى انه لم يقطع صلته مع الخلفاء العباسيين بل كان يذكر أسماءهم في الخطب وانه نجح في إخماد الخلافات التي كانت موجودة في أيام عمال الخلفاء العباسيين السابقين ولذلك لانجد في كتب التاريخ أي شيء يشير إلى مثل هذه الإضطرابات .

وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز تولى ابنه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهباري زمام الحكومة (٢٧٠ هـ) .

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها ص٥٢٠ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢-٣٢٧ .

(٣) ابن حوقل : صورةالارض .

(٤) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٣٣ .

(٥) أحسن التقاسم ص ٤٨٥ .

بعض الروايات تشير إلى أن أبا صمة (مولى كندة) الذي دخل السند مع العامل العباسي داود بن يزيد الحاتم قد تغلب على السند [1] ورفع علم الثورة ضد عبد الله بن عمر ولكن عبد الله بن عمر قد تغلب عليه وطرده من البلاد لأن من بداية الخلافة العباسية (١٣٢ هـ) إلى نهاية خلافة المتوكل (٢٤٧ هـ) لا نجد أي شخص تولى السلطة مستقلاً بدليل أن الخلفاء العباسيين كانوا يعينون العمال على السند بأنفسهم ولو وجدت هناك أية ثورة أو اضطراب في الحكم كانت تخمد فوراً كما رأينا في الفصل الأول ثم في أثناء خلافة المتوكل أو بعد موته على حسب أقوال المؤرخين تولى عمر بن عبد العزيز الهباري زمام الحكومة كما يرى المؤرخون بلا استثناء ولذلك يمكن أن نقول أن غلبة أبي صمة قد جاءت بعد موت عمر بن عبد العزيز ولكن القرائن تشير أن هذه الغلبة لم تستمر لأن المؤرخين يذكرون ولاية عبد الله بن عمر بعد عمر بن عبد العزيز .

ثم بعد وفاة عبد الله بن عمر تولى شقيقه موسى بن عمر بن عبد العزيز الهباري زمام الحكومة في سنة ٢٧١ هـ .

ان علاقته مع الخلفاء العباسيين كانت طيبة جداً وأنه قد بعث بعض الهدايا إلى المعتمد على الله (٢٥٦ هـ — ٢٧٩ هـ) يقول القاضي رشيد بن زبير « وأهدى موسى بن عمر بن عبد العزيز الهباري صاحب السند إلى المعتمد على الله سنة ٢٧١ هدية كان في جملتها فيل عظيم الخلقة لم ير أعظم منه خلقة وجمال موالح» [2] .

ثم بعد موسى بن عمر الهباري تولى حفيد عمر بن عبد العزيز أبو المنذر عمر بن عبد الله زمام الحكومة ٣٠٢ هـ .

ان المؤرخ المسعودي يقول عنه بقوله : « وكذلك صاحب مملكة المنصورة

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٢ .
(٢) قاضي رشيد بن زبير : كتاب الذخائر والتحف ص ٣٧ .

رجل من قريش من ولد هبار بن الأسود » (١) .

ويذكر في موضع آخر يذكر اسمه وكنيته « وكذلك كان دخولي إلى بلاد المنصورة في هذا الوقت والملك عليها أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره زياداً وابنيه محمد وعلياً ورأيت بها رجلا سيداً من العرب وملكاً من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم من ولد عمر بن علي ولد محمد بن علي وبين ملوك المنصورة وبين أسرة أبي الشوارب قرابة وصلة ونسب وذلك أن ملوك المنصورة الذين الملك فيهم في وقتنا هذا من ولد هبار بن الأسود ويعرفون بني عمر بن عبد العزيز القرشي وليس هو عمر بن عبد العزيز الأموي » (٢) .

لاحظنا أن المؤرخ المسعودي قد بين انه لما دخل السند رأى ان أبا المنذر عمر بن عبد الله كان يحكم عليها وكان يوجد فيها مجموعة من العلويين وهكذا ان العلاقات بين ملوك المنصورة وبين أسرة أبي الشوارب القاضي كانت قوية .

ففي هذا المجال لا بد لي أن أنبه إلى خطأ المؤرخ الانجليزي ايليت Eliat الذي فهم من اسم حمزة آل حمزة عم الرسول الذين نزحوا إلى بلاد الهند على حد قول ايليت (Eliat) في الحقيقة ان هذا خطأ لأن حمزة عم الرسول ﷺ كان ليس له أولاد بل الحمزة الذي رآه المسعودي ربما يكون تاجراً من التجار الذين كانوا يفدون على السند (٣) .

ثم يذكر المسعودي عن قوة هذا الملك بقوله « وللملك المنصورة فيلة حربية وهي ثمانون فيلاً رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائة راجل وانه يحارب ألوفاً من الخيل على ما ذكرنا ورأيت فيلين عظيمين كانا موصوفين عند

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ١-٢٠٤ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ١-٢٧ .

(٣) Eliat History of India P. No. 88

ملوك السند والهند لما كان عليه من البأس والنجدة والأقدام على قتل الجيوش كان اسم أحدهما منضر غلى والآخر حيدرة)[1] .

لاحظنا أن المسعودي ذكر أنه رأى ولدين لأبي المنذر أحدهما كان محمداً وثانيهما كان علياً (ورأيت بها وزيره روحاً وابنيه محمداً وعلياً) ولكن السؤال هل كانت لهما أي علاقة بالحكومة ؟

في الحقيقة لا نجد في كتب التاريخ أي شيء بهذا الصدد ولذلك يمكن لنا أن نقوو أن هذه الدويلة الهبارية قد انقرضت بعد أبا المنذر .

انقضاء على هذه الدويلة :

ان هذه الدويلة قد انقرضت بعد السلطان محمود الغزنوي بعدقضائه على معبد سومسات (٤١٦ هـ) وفي عودته مر على ملتان ثم المنصورة وبهذا انقرضت هذه الدويلة العربية يقول ابن خلدون « وتداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم على يد محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وما دون النهر من خراسان وكان قاعدتهم المنصورة)[2] .

يقول الإمام ابن حزم « وتداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم في زماننا هذا ، أيام محمود بن سبكتكين صاحب مادون النهر من خراسان »[3] .

نلاحظ ان المؤرخ ابن خلدون وابن حزم قد ذكر فقط انقراض هذه الدويلة بيد السلطان محمود الغزنوي ولم يبينا السبب في انقراضها .

نتقدم قليلاً ونرى ماذا يقول المؤرخ ابن الأثير عن محمود بن سبكتكين وقصد المنصورة وكان صاحبها قد ارتد عن الإسلام فلما بلغه مجيء يمين الدولة

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ١-١٠٦ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٢-٣٢٧ .

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١١٨ .

فارقها واحتمى بغياض أشبيه فقصده يمين الدولة من موضعين فأحاط به وبمن معه فقتلوا أكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم إلا القليل »[١] .

نتوقف عند هذا القول قليلاً ونحاول أن نعرف حقيقة هذا الارتداد .

من المعروف ان أمراء هذه الدويلة كانوا من متبعي أهل السنة والجماعة ثم كانت لهم علاقة مع الخلفاء العباسيين يذكر أسماءهم في الخطب[٢] وان واحداً من أمراء هذه الدويلة قد بعث بعض الهدايا إلى الخليفة العباسي[٣] ، في مثل هذا الحال كيف يمكن أن يقال انهم ارتدوا وثانياً لا يمكن أن نترك قول ابن الأثير بدون اعتبار .

اني قد وصلت في هذا الصدد إلى رأيين : أولاً أن محمود الغزنوي قد اتهمهم بالارتداد وانه قد جعل هذا الارتداد تبريراً لهجومه لكي يضم هذه الدويلة إلى مملكته .

ثانياً : ان المقدسي (٣٧٥ هـ) يذكر عن المنصورة بقوله : « وأما المنصورة فعليها سلطان من قريش يخطبون للعباسي »[٤] .

ان هذا الشيء يفيد ان الحكومة الهبارية كانت موجودة إلى حد سنة ٣٧٥هـ ويمكن بعد هذه الفترة قد تغلب عليها القرامطة الذين كانوا موجودين في عدد كبير في المنصورة كما واضح من كلام ابن الأثير وبهذا توجه محمود الغزنوي للقضاء على هذه الحكومة المرتدة .

الدليل على استقلال الحكومة الهبارية :

ان أكبر وأقوى دليل على استقلال هذه الدويلة ما قاله المؤرخ المسعودي

---

(١) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٩-١١٩ .

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٧٣ ، احسن التقاسيم ص ٤٨٥ .

(٣) القاضي رشيد بن زبير : كتاب الذخائر والتحف ص ٣٧ ،

(٤) احسن التقاسيم ص ٤٨٥ .

« وصاحب مملكة بلد الملتان رجل من قريش من اسامة بني لؤي بن غالب وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الأسود »[1].

ان زبير بن بكار وابن حزم قد ذكروا باسم والي السند أو باسم صاحب السند وان الاصطخري وياقوت الحموي ذكرا باسم الملك والمقدسي كتب باسم السلطان ، ان هذه الأقوال تشير إلى استقلال هذه الدويلة تماماً .

الدويلة الهبارية وعلاقتها مع الخلفاء العباسيين :

ان حكام هذه الدويلة كانوا على اتصال مستمر مع الخلفاء العباسيين ويذكرون أسماءهم في الخطب . ومن الواضح ان العلويين والخوارج والشيعة كانت أعدادهم كبيرة في الهند وانهم كانوا يدبرون دائماً مؤامرات ضد الدولة العباسية ومن ناحية أخرى ان امراء الدويلة الهبارية كانوا من متبعي أهل السنة والجماعة وهكذا يظهر في بعض الروايات انهم كانوا متمسكين مذهب الظواهر [2] ولذلك يمكن اتصالهم مع الخلفاء العباسيين تضامناً لهم وتظاهراً العداوة ضد أعدائهم .

على كل حال نقدم بعض اقوال المؤرخين التي تشير إلى ذكر أسماء الخلفاء العباسيين في الخطب .

يقول الاصطخري عن المنصورة « وملكهم من قريش يقال انه من ولد هبار ابن الأسود تغلب عليها هو وأجداده إلا ان الخطبة للخليفة »[3] .

يقول المقدسي : «وأما المنصورة فعليها سلطان من قريش يخطبون للعباسي»[4]، يقول ابن حوقل : « غير ان الخطبة لبني العباس » .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ١-١٠٤ .

(٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٣٧ .

(٣) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٧٢ .

(٤) أحسن التقاسيم ص ٤٨٥ .

المذهب الفقهي لدويلة الهبارية :

ان الأمراء الهباريين كانوا من متبعي أهل السنة والجماعة وانهم كانوا يذكرون أسماء الخلفاء العباسيين في الخطب كما ذكرنا ولكن ماهو المذهب الرسمي لهذه الدويلة الهبارية ؟ في الحقيقة لا نجد أي تصريح واضح بهذا الصدد ولكن القرائن تشير إلى أنهم كانوا يتبعون مذهب الإمام داود الظاهري لأن هذا المذهب قد انتشر في القرن الرابع الهجري واحتل مكان مذهب الحنابلة ولذلك نرى أن المقدسي قد ذكر مذهب أهل السنة والجماعة أربعة هي : الحنفية والمالكية والشافعية والداود الظاهرية ولم يذكر مذهب الحنابلة [١] ، ثم يذكر عن حالته الدينية لهذه الدويلة بقوله « مذاهبهم أكثرهم أصحاب حديث لا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة ، وليس به مالكية ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة إنهم على طريقة مستقيمة ، ومذاهب محمودة وصلاح وعفة قد أراحهم الله من الغلو والعصبية والهرج والفتنة [٢] .

---

(١) أحسن التقاسيم ص ٣٧ .

(٢) أحسن التقاسيم ص ٤٨١ .

الدولة السامية بملتان سنة ٢٧٩ هـ

أما الدويلة الثالثة التي قامت في السند فهي دويلة محمد بن القاسم بن مينبة السامي ولذلك يمكن أن نطلق عليها اسم الدويلة السامية نسبة إلى هذا المؤسس، ومحمد بن القاسم عربي قرشي كما ذكرت المصادر التاريخية (١) .

وقد بدأت أنظار محمد بن القاسم تتطلع إلى الهند منذ كان والياً على عمان (٢٧٩ هـ) التي تقع على الشاطىء المقابل للهند ويفصلها عنها خليج عمان .

وقد تولى محمد بن القاسم بن منبه السامي عمان بعد أن أرسله الخليفة المعتضد للقضاء على فتنة الخوارج بها فنجح في مهمته (٢) .

هناك سؤال : ان محمد بن القاسم بن منبه السامي متى أقام دولته في ملتان؟

في الحقيقة لا نجد أي شيء بهذا الصدد بوضوح ولكن يمكن لنا أن نستنتج من المصادر أن محمد بن القاسم قد فتح الملتان أثناء حكمه في عمان سواء أكان ذلك بنفسه أو عن طريق عماله رغم عدم تصريح المصادر بهذه الحقيقة ، وذلك لأن المصادر كلها تؤكد أن فتح الملتان تم في عهد محمد بن القاسم (٣) وان دولته في عمان استمرت حتى عهد أبنائه إلى أن سقطت على أيدي القرامطة (٤) .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ١-٩٩ ، المسالك والممالك : الاصطخري ص ١٧٥ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٤-٩٣ .

(٣) البيروني : كتاب الهند ص ٩٥ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٤-٩٣ .

أما سبب قيامه بغزو الملتان في ذلك الوقت فيمكن أن نقول انه بعدقضائه على الخوارج في عمان قد توجه لاستئصال بقيتهم في ملتان لأنهـا كانت مركزاً للخوارج [1] .

أراء المؤرخين في هذه الدويلة :

ومن المؤرخين الذين ذكروا هذه الدويلة ابن رسته (٢٨٠ هـ) ولكنـــه لم يشر إلى محمد بن القاسم بل ذكر أن الملتان يحكمها قوم يدعون أنهـــم من أبناء سامة بن لؤي يقال لهم بنو منبه وأنهم يخطبون للخليفة العبـــاسي ويدينون بالمذهب السني ، وقد أبقى أفراد هذه الأسرة صنم الملتان الذي كان مصدراً كبيراً لثروة هذه الدويلة بما يقدمه اليه الحجاج الذين يفدون اليه من أنحاء الهنـد كما أن دولتهم كثيراً ما كانت تتعرض لهجمات ملوك الهند ولكن النصر كان دائمـاً في جانب بني سامة لتمتعهم بالقوة واليسار [2] .

بعد ابن رسته نرى المؤرخ المسعودي يتحرى عن هذه الدويلة الذي زار الهند بعد سنة ثلاثمائة هجرية « وصاحب مملكة بلد الملتان رجل من قريش من ولد سامة بني لؤي بني غالب » [3] .

ويذكر في مكان آخر « وكان دخولي إلى بلاد الملتان بعد الثلاثمائة والملك أبو اللهاب المنبة بن أسد القرشي » [4] .

ثم يذكر المؤرخ عن حالة هذه الدويلة قدراً من التفصيـــل « فأما صاحب الملتان فقد قلنا أنه من ولد سامة بني لؤي بن غالب وهو ذو جيوش ومنعـــة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من ضيـاعه قراه

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ص ٧-٧٩ .

(٢) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١٣٥ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ١ — ٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ١ — ١٠٤ .

عشرون ومائة الف قرية مما يقع عليه الاخفاء والعدو فيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالملتان يقصده السند والهند من أقاصي بلادهم بالنـــذور والأموال والجواهر والنقود وأنواع الطيب ويحج اليه الألوف من الناس »[١] .

ان كلام المسعودي يشير إلى بعض النقاط لا بد أن تؤخذ في موضع الاعتبار :

أولاً : ان المسعودي عندما زار الهند وجد هذه الدويلة قديمة وكان يوجد فيها نظام التوارث لأنه كان يحكم في ذلك الوقت حفيد محمد بن القاسم أبواللهاب منبه بن أسد . من المعروف ان ابن رسته لم يذكر اسم محمد بن القاسم بل اقتصر على ذكر اسم (قوم بني منبه) ان هذا يشير إلى أن الحكومة كانت في الأولى جمهورية ولكن بعد تولية أسد بن القاسم أصبحت الحكومة ملكية متوارثة .

بعد ذلك نجد الاصطخري (٣٤٠ هـ) يذكر عن هذه الدويلة «وكان لأمراء هذه الدويلة معسكر خاص يبعد عن الملتان بنصف فرسخ فقط يقيمون فيـــه بصفة دائمة يسمى (جنداور) ولا يخرجون منه إلى الملتـــان إلا في يوم الجمعة فيذهب الأمير إلى الصلاة راكباً فيلاً وكان هؤلاء الحكام مستقلين سياسيـاً عن حكام المنصورة الذين كانوا موالين للعباسيين أيضاً[٢] .

ان ابن حوقل (٣٥٨ هـ) آخر من تكلم عن هذه الدويلة انه لم يقـدم شيئاً جديداً إلا تكراراً بما قاله الاصطخري .

القضاء على هذه الدويلة :

نحن لا نعرف متى وكيف انقرضت هذه الدويلة ولكن ما نعرفه أنـــه قد أعقبها دولة أخرى اسماعيلية تابعة للفاطميين فقد ذكر المقدسي (٣٧٥ هـ) أهل الملتان شيعة يهوعلون في الآذان ويثنون في الإقامة[٣] .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ١ — ١٠٤ .
(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٧٥ وابن حوقل .
(٣) أحسن التقاسيم ص ٤٨١ .

ويذكر في موضع آخر « وأما الملتان فيخطبون للفاطميين ولا يحكمون ولا يعقدون إلا بأمره »[1].

على كل حال ان هذا يثبت ان الذين تولوا حكومة جديدة كانوا الفاطميين وإن كان لهم اعتقاد بالخلفاء الفاطميين في مصر .

ولكن هناك سؤال هل ان بني منبه قد غيروا مذهبهم من السنة إلى الشيعة؟ أو حل مكانها أسرة جديدة ؟

في الحقيقة لا نجد جواباً صريحاً على هذا السؤال ولكن المؤرخ البيروني يلقي ضوءاً فيذكر أن القرامطة استولوا على الملتان ، وكسر أحد زعمائهم يدعى جلم ابن شيبان صنم الملتان الذي حافظ عليه بنو سامة بن لؤي وقتل سدنته وحول بيت الصنم إلى مسجد[2] ولم يكن في استطاعته خلفاء بغداد العباسيين أن يساعدوا اتباعهم بني لؤي لضعفهم ولبعد المسافة بينهم وبينما كان دعاة العلويين قد جاءوا إلى الهند ونجحوا في جذب بعض سكانها اليهم ومن هؤلاء الدعاة جلم ابن شيبان الذي أرسله الخليفة المعز الفاطمي لنشر دعوته بالهند[3] .

وقد انقرضت هذه الحكومة الإسماعيلية على يد السلطان محمود الغزنوي في سنة ٣٩٦ ه عندما بلغه أن أبا الفتوح والي الملتان يعتنق مذهب الباطنية وأنه يدعو أهل ولايته إلى مذهبه وفر هذا الوالي أمام السلطان الغزنوي وبذلك عادت الملتان إلى المذهب السني وأصبحت في أيدي الغزنويين الموالين للعباسيين[4] .

---

(١) أحسن التقاسيم ص ٣٨٥ .

(٢) البيروني : كتاب الهند ص ٥٦ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٤ – ١١ ، الدكتور همداني : الصيليميون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٢٢٣ .

(٤) البعيني : تاريخ اليمن ٢ – ٧٢ – ٧٤ ، وابن الاثير ٩ – ٩٨ وابن خلدون ٤-٣٦٦ .

المذهب الديني لأمراء بني سامة :

ان المؤرخ ابن خلدون قد صرح ان بني سامة في عمان كانوا يعملون على مذهب السني ويتظاهرونها [1] ولكن لا نجـد أي تصريح واضح عن أمراء بني سامة بلتـان في هذا الصدد ولكن القرائن تشير انهم كانوا سنيون أولاً انهم كانوا من أسرة بني سامة الذين كانوا يحكمون في عمان ثانيها انهم كانوا يـذكرون أسماء الخلفاء العباسيين في الخطب ويدعون [2] لهم . ثالثاً : ان أكبر دليل لسنيتهم ان هذه الحكومة قد انقرضت بأيدى الاسماعيليين .

العلاقة مع الخلفاء العباسيين :

ان هذه الدويلة قد استقلت عن الخلافة العباسية ولكن صلة دينيـة كانت باقية مع الخلافة انهم كانوا يذكرون أسماء الخلفاء العباسيين في الخطب ، يقول ابن رسته في هذا الصدد « وهم يدعون لأمير المؤمنـين » [3] يقول الاصطخرى « ولا يطيع صاحب المنصورة إلا أنه يخطب للخليفة » [4] ويقول ابن حوقـل « وهو ليس في طاعة أحد وخطبته لبني العباس » .

ان هذه الأقوال تشير إلى أنه كانت لهم علاقة مع الخلافة العباسية .

---

(١) ابن خلدون ٤-٩٣ .
(٢) الاعلاق النفسية ابن رسته ص ١٣٥ .
(٣) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١٣٥ .
(٤) المسالك والمالك ص ١٧٥ .

قيام الدولة الاسماعيلية

ان هذه الدولة قامت على أنقاض دولة بني سامة كما ذكرنا ولكن لا بد لنا أن نذكر في هذا المجال ان هذه الدولة لم تظهر في الوجود دفعة واحدة بل كانت هناك مقدمات لقيام هذه الدولة .

ان أول شخص دخل في السند لنشر دعوة الإسماعيليين كان يدعى هيثم [1] ، وبعد ذلك توالت الدعاة ونشروا الدعوة الإسماعيلية في السند على نهج معروف لهم وهو التقية ، وهؤلاء الدعاة هم الذين مهدوا السبل في السند لقيام الدولة الإسماعيلية . وقد ركز هؤلاء جهودهم كلها في (الملتان) إذ لم تكن الظروف في المنصورة مهيأة لنشر دعوتهم في ظل الهباريين .

لقد حكم الملتان بنو سامة إلى حوالي سنة ٣٧٥ هـ ، وكانت الدعوة الإسماعيلية فيها في أوج نشاطها السري وتمهدت الطرق للثورة الإسماعيلية في الملتان ، ولما تولى الحكم في مصر العزيز بالله الفاطمي الذي دامت حكومته أكثر من واحد وعشرين عاماً من سنة ٣٦٥ — ٣٨٦ هـ دخلت الدولة الفاطمية مرحلة حاسمة من التاريخ إذ أصبحت للفاطميين امبراطورية واسعة تضم المغرب ومصر واليمن والجزيرة العربية والشام وجزيرة صقلية وفاقت أحياناً الخلافة العباسية قوة ونفوذاً واتساع ملك ، فكون العزيز بالله جيشاً قوياً لتوسيع نطاق بلاده ولحماية دولته الكبيرة المترامية الأطراف ، ولم يكتف بأنه يحكم أكبر دولة إسلامية في الشرق الأوسط ، بل طمع في ضم السند التابعة للعباسيين إلى حكمه فأرسل

---

(١) أبو ظفر الندوي : تاريخ سنده ص ٢٥٦ (بالاردية) .

جيشاً تحت قيادة جلم بن شيبان إلى السند عن طريق خراسان لأن معظم البلدان في خراسان كانت في نفوذ الفاطميين ثم وصل إلى مكران ومنها إلى الملتان ، ولم يذكر أحد من المؤرخين ان جلم بن شيبان فتح الملتان عنوة بل يذهب بنا الظن إلى أن الدعاة كانوا على أهبة الاستعداد للقيام بالثورة وكانوا يترقبون الفرصة وينتظرون حماية لهم من مصر فلما جاء الجيش إلى الملتان قامت الدعاة بالثورة ودخلها الجيش بدون أية مقاومة (١) .

فكان جلم بن شيبان أول حاكم في الملتان عين من قبل العزيز بالله الفاطمي ، لأنه خطب وسك نقود باسمه ، وفي هذه الآونة أي سنة ٣٧٥ هـ زار الملتان الرحالة الشهير المقدسي وقال فيها « وأما الملتان فيخطبون للفاطميين ولا يحلون ولا يقصدون إلا بأمره ، وسلهم وهداياهم تذهب دائماً إلى مصر وهو سلطان قوي » (٢) .

وقال في موضع آخر « وأهل الملتان شيعة يهوعلون في الآذان ويثنون في الإقامة » (٣) .

وعلى الرغم من قيام الدولة الإسماعيلية في الملتان فانه لم يطرأ على المجتمع الاسلامي هناك أي تغيير من الناحية الخلقية والدينية كما قال المقدسي « وليس عندهم زناء ولا شرب خمر ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه أوحدوه ولا يكذبون في بيع ولا يبخسون في كيل ولا يخسرون في وزن ، يحبون الغرباء وأكثرهم عرب . شربهم من نهر غزير والخير بها كثير والتجارب حسنة والنعم ظاهرة والسلاطين عادلة لا ترى في الأسواق امرأة متجملة ولا أحداً يحدثها » (٤) .

كان جلم بن شيبان يحكم البلاد بالعدل والانصاف مع انه أظهر في البداية تعصباً شديداً نحو أهل السنة ورجال الدين الهندوكي بخلاف الأمويين والعباسيين

---

(١) أبو ظفر الندوي : تاريخ سنده ص ٢٥٦ (بالاردية) .
(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٨٠ .
(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٨١ .
(٤) المصدر نفسه ص ٤٨٠ .

الذين اشتهروا بالعدل والمساواة مع جميع الطبقات . ولكن جلم بن شيبان هدم معبدهم الذي لم يمسه من قبل أحد من حكام العرب وحوله إلى مسجد فاطمي ، ثم أغلق المسجد الذي بناه محمد بن القاسم لإظهار عداوته نحو الأمويين (١) .

ولم يكتف جلم بن شيبان بهذا التعسف بل هدم أيضاً معبداً كبيراً كان بمثابة الكعبة للهندوكيين ، كان يحج اليه الناس من أنحاء الهند يتبركون به(٢) .

وفي هذه الآونة ضعفت الدولة السامانية في خراسان وما وراء النهر وقامت دولة الغزنويين على أنقاضها على يد سبكتكين بن البتكين الذي غزا الهند وهزم الملك الهندوكي في لاهور ، ثم توجه إلى الشيخ الحميد الذي كان يحكم الملتان في ذلك الوقت وانه عقد مع الملك الهندوكي عقداً في سنة ٣٨٢ هـ على أن يدفع له الخراج سنوياً (٣) .

من كان هذا الوالي الجديد ؟ هل كانت له أية علاقة مع مؤسس الدولة الاسماعيلية في الهند ؟ أو انه كان شخصية مستقلة ؟

يقول المؤرخ فرشته عنه انه كان من نسل أوائل المسلمين الذين هاجروا أفغانستان ثم نزحوا إلى الهند ولم يرجعوا إلى بلادهم بسبب من الأسباب ثم تزوجوا من (بهتان) خير آباد وظهر من هذا المزيج العربي البهتاني نسل جديد يدعى (لودهى) (٤) .

نحن لا ندري على أي أساس قال فرشته عنه القول المذكور ؟ في الحقيقة أن المؤرخين الفرس كانوا لا يعرفون عن حكومة عربية في ملتان على الاطلاق ولذلك نرى أنهم لم يتعرضوا الجلم بن شيبان الذي كان المؤسس الحقيقي للدولة الاسماعيلية في الملتان .

---

(١) البيروني : تحقيق ما الهند ص ٥٧٤ .
(٢) أبو ظفر الندوي : تاريخ سنده ص ٢٥٨ (بالاردية) .
(٣) فرشته : تاريخ فرشته ص ٢٤ ، ٢٥ (بالفارسية) .
(٤) المصدر نفسه ص ١٧ ، ١٨ .

اني لا أستطيع أن أقبل قول فرشته بناء على هذه الأسباب التالية :

١) ليس ثابتاً في التاريخ أن بهتان أسلموا في ذلك الوقت .

٢) ولو نفرض قبول إسلامهم في ذلك الوقت فمن المستحيل أن نسلم انهم كانوا من الاسماعيليين لأن حكام الأتراك والأفغان في الهند كانوا متعصبين لمذهبهم السني ولكن يقول فرشته عن الشيخ الحميد انه كان إسماعيلياً (١) .

في رأيي أنه كان من نسل جلم بن شيبان لأن لقب الشيخ وكنيته أبوالفتوح (٢) ان هذه الأشياء خاصة لأهل العرب ولا نجدها عند أهل الهند .

ومن المحتمل انه قد ادعى نفسه من نسل (لودهي) لكي ينشر دعوته بأحسن طريق كما نرى في يومنا هذا في الهند أن هذه الطائفة قد اختلطت مع الشعب الهندوسي فكرياً واتخذت بعض أفكارهم ولكن في نفس الوقت ينشرون دعوتهم بطريقة منظمة .

ولما تولى الحكم محمد بن سبكتكين سنة ٣٨٩ هـ وتوجه إلى الهند وشن الغارات على كثير من ملوك الهندوكيين وكان حفيد الشيخ الحميد أبو الفتوح داود بن نصر يحكم الملتان في هذه الفترة ، وقد اشتهر هذا الرجل بتعصبه لعقيدته الاسماعيلية إلى حد أن المؤرخين اعتبره من الملاحدة ، وطبقاً للعلاقات الوثيقة مع الهندوكيين والمعاهدات السابقة مع هؤلاء الملوك لم يساعد أبو الفتوح محمود الغزنوي في معركته ضد ملك (جي روأ) في لاهور فغضب عليه محمود غضباً شديداً وتوجه نحوه بجيش جرار سنة ٣٩٦ هـ وهزمه وقبض عليه وحمله معه إلى غزنة حيث توفي أبو الفتوح وبهذا انتهت الدولة الاسماعيلية في الملتان (٣) .

ولم ييأس الاسماعيليون من جراء هذه الهزيمة ومن سقوط دولتهم في الملتان

---

(١) فرشته : تاريخ فرشته ص ١٨ (بالفارسية) .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٩-١٣٢ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٤-٣٦٦ .

(٣) فرشته : تاريخ فرشتة ص ٢٤ (بالفارسية) .

بل ركزوا جهودهم في المنصورة والتي كان يحكمها بنو هباري ولم يستطع الاسماعيليون التغلب عليها .

ثم لم تلبث المنصورة إلى أن سقطت في يد الاسماعيليين أو لما سقطت الملتان على يد محمود بن سبكتكين انتقل جميع دعاة الاسماعيليين إلى المنصورة وقاموا بالثورة كما قاموا بها من قبل في الملتان . ولا نعرف على وجه التحديد في أي عام قامت هذه الثورة ومن الذي قادها ؟

وكل ما نعرف عن الاسماعيليين فيها أن ابن الأثير ذكر في حوادث سنة ٤١٦ هـ أن القرامطة كانوا يحكمونها وفي سنة ٤١٧ هـ، حكمها رجل يسمى خفيف واستمر حكمه إلى أن مات سنة ٤٢٤ هـ ولم تبق الدولة الغزنوية قوية بعد وفاة محمود بن سبكتكين بل سرعان ما تسرب اليها الضعف والانحلال مما أدى إلى حلول السلاجقة محل الغزنويين في خراسان وما وراء النهر كما أدى في الهند إلى هزيمة السلطان عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين سنة ٤٤٤ هـ على يد قرامطة المنصورة وبهذا انضمت الملتان إلى المنصورة الاسماعيلية واستمر حكم الاسماعيليين في كل من الملتان والمنصورة إلى أن جاء شهاب الدين الغوري على رأس جيش تركي قوي سنة ٥٨٢ هـ .

وفي أيام المستنصر (المتوفى سنة ٤٨٧ هـ) كانت تقضي مصر الفاطمية آخر أيامها إذ كان من المتوقع هناك أن ينفجر بركان قوي ليقضي على هذه الدولة نهائياً في مصر . وقد أدرك المستنصر ذلك بذكائه وبصيرته لأن الخلافات بين ابنيه (نزار والمستعلي) بلغت إلى الذروة فأراد المستنصر أن ينقل مركز الدعوة

---

(١) فرشته : تاريخ فرشته ص ٢٤ (بالفارسية) .

(٢) دكتور : زاهد علي : تاريخ فاطمي مصر ص ٣٥٦ .

الفاطمية من مصر إلى اليمن لأن اليمن كانت أرضاً سعيدة في نظر الفاطميين فأرسل المستنصر هبة الله بن موسى المشهور بالمؤيد الشيرازي لإعادة الدولة الفاطمية في كل من اليمن والهند ففتح المؤيد الشيرازي مدناً كثيرة في اليمن وأدمجها في الدولة الفاطمية ثم أصبحت هذه الدولة قوية في عهـــد علي بن محمـــد الصيلمي سنة ٤٥٤ هـ [١] وقد ركز المؤيد الشيرازي جهوده كلها في (كجرات) بجنوب الهند، وقد لعب هؤلاء الدعاة اليمنيون أروع دور في جنوب الهند لنشر الدعوة الفاطمية فأسلم آلاف من الهندوكيون وبهذا أصبحت ولاية بومباي مركز النشاط الفاطمي هناك [٢] وانهم وثقوا صلتهم مع الخليفة الفاطمي وخطبوا باسمه [٢] .

(١) دكتور زاهد علي : تاريخ فاطمي مصر ص ٣٥٦ (بالاردية) .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٦٠ .

الدويلة المعدانية في مكران سنة ٣٤٠ هـ

لقد بدأت علاقة المسلمين بمكران منذ عهد معاوية رضي الله عنه . يذكر المؤرخ البلاذري ان مكران قد فتحت عنوة في عهد معاوية بن أبي سفيان على يد سنان بن سلبة بن المبحتق الهذلي الذي ولاه زياد على هذا الثغر ، فقام بتعمير مكران وضبطها ، واستقر بها .

ويرى ابن الكلبي أن فتح مكران تم على يد حكيم بن جبلة العبدي ، ثم تولاها راشد بن عمرو الحديدي من الأزد ، فاتجه إلى توسيع نفوذه فغزا القيقان والميد وقتل أثناء ذلك فتولى من بعده سنان بن سلمة المذكور فأقام بها سنتين[١] .

على كل حال لا نجد في التاريخ الاسلامي أي حاكم عربي مسلم حكم عليها إلا سنان بن سلمة وراشد بن عمر الحديدي ، ولكن عندما ندخل في القرن الرابع نجد أن الظروف قد تغيرت في مكران لصالح شخص المعروف بعيسى بن معدان انه أعلن حكومته المستقلة وان هذا الشخص كان معروفاً في لغة سكان مهران باسم « مهراج » ان المؤرخ الاصطخري أشار إلى هذه الحكومة بقوله « والمتغلب عليها رجل معروف بعيسى بن معدان ويسمى بلسانهم مهراج ومقامه مدينة كينر »[٢] .

ان ياقوت الحموي قد نقل نفس عبارة الاصطخري ولكنه حدد وقت استقلاله بها بقوله « والمتغلب عليها في حدود سنة ٣٤٠ هـ رجل يعرف بعيسى بن معدان

---

(١) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٣٣ .

(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٧٧ .

ويسمى بلسانهم مهراج ومقامه بمدينة كيز »[1] .

والمعلومات التي لدينا عن عيسى بن معدان قليلة فنحن لا نعرف شيئاً عن أسرته ولا منشئه .

وتبين ما ذكرته المصادر التي رجعنا اليها أنه قد استولى على مكران بقوته الذاتية ولم يكن تابعاً لأية قوة أخرى ولم تشر المصادر إلى أنه كان خاضعاً للعباسيين أو أنه كان يخطب باسمهم .

وقد تولى الحكم بعده ابنه معدان بن عيسى بن معدان[2] ، ونحن لا نجدعنه في كتب التاريخ أكثر من هذا فلما توفي هذا الأمير (٤٢٢ هـ) حدث خلاف بين ولديه عيسى وأبي العساكر فاستبد عيسى بالولاية والمال فسار أبو العساكر إلى خراسان وطلب من مسعود بن محمود بن سبكتكين حاكم غزنة النجدة فسير معه عسكراً وأمرهم بأخذ البلاد من عيسى أو الاتفاق مع أخيه على طاعته فوصلوا اليها ودعوا عيسى إلى الطاعة والموافقة فأبى وجمع جمعاً كثيراً بلغوا ثمانية عشر الفاً وتقدم اليهم فالتقوا فاستأمن كثير من أصحاب عيسى إلى أخيه أبي العساكر فانهزم عيسى ثم عاد وحمل في نفر من أصحابه فقتل واستولى أبو العساكر على البلاد ونهبها ثلاثة أيام »[3] وهكذا تولى أبو العساكر الحكم بمساعدة الجيش الغزنوي فخضع للغزنويين وأمر بذكر اسم السلطان الغزنوي في الخطب كما أشار اليه ابن خلدون[4] .

وقد ظلت دولة بني معدان حتى انقرضت بيد السلطان غياث الدين الغوري

---

(١) معجم البلدان ٨-١٣٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٩-١٤٣ .

(٣) ابن الاثير: الكامل ٩-١٤٣

(٤) ابن خلدون : ٤-٣٧٧ .

في سنة ٤٧١ هـ [١] وبذلك أصبحت مكران ضمن ممتلكات الغوريـــين الذين يدينون بالولاء للخلفاء العباسيين.

ان المؤرخين لم يبينوا السبب للقضاء على هذه الدويلة ولكن القرائن تشير انها انقرضت بسبب مذهب خارجتهم لأن المؤرخ المسعودي يقول عن بلاد مكران وهي أرض الخوارج الشراة » [٢] .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٤ — ٣٩٩ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب ١ـ١١٠ .

الفصل الثـــالث

عصر السلاطين

[illegible]

[illegible]

عصر السلاطـــين

ذكرنا في الصفحات السابقة أن العلاقة بين الهند والخلفاء العباسيين من عصر الخليفة السفاح إلى عصر المتوكل كانت قوية ، وكان الخلفاء العباسيون يهتمون بشئون الهند السياسية وتعيين الولاة ، ولكن قد انقطعت العلاقات المباشرة بين الهند والخلفاء العباسيين بعد المتوكل وان جزءاً من أراضي السند قد خرج عن سلطة المسلمين وأن الأراضي الباقية قد استولى عليها بعض المسلمين العرب .

والسؤال الذي نطرحه الآن هل كانت هناك صلة بين الهنود والخلفاء العباسيين بعد المتوكل ؟

في الحقيقة كانت هناك صلات سياسية غير مباشرة بين الهند والخلفاء العباسيين وكانت – هذه الصلات – قوية جداً ، وكان احترام المسلمين لخلفاء العباسيين يبلغ حد التقديس وكانوا يجتمعون في المساجد ويدعون للخليفة وقد أكد البلاذري ذلك فقال « ثم ان الهند غلبوا على السند فتركوا مسجدها للمسلمين يجتمعون ويدعون للخليفة »[1] .

ان المسلمين في الهند في ذلك الوقت كانوا منقسمين إلى فريقين أحدهما يتبع مذهب أهل السنة والجماعة ويؤمن أن الخليفة العباسي هو الزعيم الديني وثانيهما كان يتبع المذهب الشيعي وكانوا يعتبرن الخلفاء الفاطميين في مصر هم ممثلوا الزعامة الدينية ويدينون لهم بالولاء . قال المقدسي حينما زار الهند أثناء وصفه

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٢ .

للمنصورة « وأما المنصورة فعليها سلطان من قريش يخطبون للعباسي »[1] ثم ذكر في وصف الملتان « وأما الملتان فيخطبون للفاطمي ، ولا يحلون ولا يعقدون إلا بأمره »[2] .

ومنذ منتصف القرن الرابع الهجري بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين الهند والعباسيين من عهد الغزنويين والدول التي تبعتهم كالغوريين والمماليك والتغلقين .

وفيما يلي عرض سريع لتاريخ هذه الدول التي حكمت الهند وعلاقتها بالخلفاء العباسيين .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٨٥ .
(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٨٥ .

الدولة الغزنوية

بدأ اسم غزنة يظهر كعاصمة سياسية منذ استقل بحكمها القائد التركي التبكتين الذي كان قائداً للسامانيين سنة ٣٥٠ هـ واستطاع أحد رجاله ويدعى سبكتكين أن يؤسس من بعده أسرة حاكمة ، وأن يجعل الحكم من بعده لأبنائه ولذا فاننا نعتبره المؤسس الحقيقي لهذه الدولة [١] وقد استطاع سبكتكين أن يوسع دائرة ملكه فاستولى على (لبت) وتمكن من إخضاع قصدار وأن يقوم بعدة غزوات الى بلاد الهند ويحقق انتصاراً على ملكها جيبال [٢] .

وقد استطاع الغزنويون أن يرسخوا أقدامهم ويدعموا وجودهم في بلاد الهند في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الذي قام بعدة فتوحات إلى بلاد الهند ، فكانت كل سنة تقريباً تشهد غزوة منه إلى هذه البلاد حتى تم له فتح معظم شمال غربي الهند [٣] .

وقد تمكن خلفاء هذا السلطان من القيام بعدة غزوات أخرى ، ففتح مسعود الأول (٤٢١ — ٤٣٢ هـ) قلعة هاني سنة ٤٢٨ هـ وكانت تسمى (القلعة العذراء) لأن أحداً لم يتمكن من فتحها قبله [٤] .

وفي عهد مسعود هذا وصلت الدولة الغزنوية إلى أقصى اتساعها وامتدت من الهند شرقاً إلى العراق العجمي (همذان وأصفهان) غرباً .

---

(١) رسالة ماجستير اعداد محمد الرفاعي اشراف الدكتور أحمد شلبي ص ٥٩ .
(٢) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٨–٦٨٥ .
(٣) انظر تفاصيل هذه الفتوحات في : تاريخ اليمن للعتبي : (جزآن) .
(٤) البيهقي : (ترجمة الدكتورين يحيى الخشاب وصادق نشأت) ص ٥٠٨ .

البال لا إرهاق ولا احتيال حتى القى الله موفياً بعهدي فيها . وأتشبث بما أخذ علي منها ولا أبدل ولا أميل وأتمسك بما عاهدت الله عليـــه فإذا نكثت هذه البيعة أو بدلت شرطاً من شروطها أو نقضت رسماً من رسومها كفرت بالقرآن العظيم ومن أنزله ومن نزل به [1] .

وقد حارب الغزنويون كل المذاهب المعـــادية للمذهب السني بايعـــاز من الخليفـــة العباسي القادر بالله فوقفوا موقفاً معادياً من الفاطميين والباطنيـــين والقرامطة وغيرهم .

وكانت غزنة تشارك بغداد في الاحتفال بمراسم الخلافة فحين توفي القـــادر أعلنت مراسم الحداد في الدولة الغزنوية وعطلت الأسواق ثلاثـــة أيام ، وبعد ذلك أقيمت الاحتفالات بتولي الخليفة الجديد القائم وكان رسول الخليفـــة يلقى كل احتفاء وتكريم في غزنة [2] ، ولم تكن علاقة الغزنويين بالبويهيـــين أصحاب السلطة الفعلية في بغداد والذين يسيطرون على الخلافة العباسية علاقة ودوصداقة بل كان يشوبها العداء في أكثر مراحلها ، وقد اعتبر الغزنويون أنفسهم حماة الخلافة من اعتداء البويهيين ، ولذلك أرسل السلطان مسعود الأول الغزنوي يهدد البويهيين ويطلب منهم أن يحترموا منزلة الخليفة ويقول « لولا احترامنا لمقام الخلافة لكنا قصدنا بغداد يقيناً » [3] .

وقد انقطعت علاقة الغزنويين بالخلافة العباسية منذ أن فقدوا خراسان سنة ٤٣١ هـ بعد أن استولى عليها السلاجقة وأصبحوا بعيدين جغرافياً عن بغداد بعد أن كانوا على وشك الاستيلاء عليها .

---

(١) البيهقي : تاريخ البيهقي ص ٣٢٠ .

(٢) محمد الرفاعي : الدولة الغزنوية : رسالة ماجستير اشراف د. احمد شلبي ص ١٠٥ .

(٣) البيهقي ص ٣٢١ .

الدولة الغـوريـة

قامت الدولة الغورية على أنقاض الدولة الغزنوية في كل من الهند وبلاد ماوراء النهر وتنسب هذه الدولة إلى مكان نشأتها وهو الغور وهو منطقة جبليـة وولاية بين هراة وغزنة منطقة واسعة موحشة وكان قطب الدين محمـد بن الحسين أول ملك في بلاد الغور الذي تمكن من دخول غزنة عاصمة آل سبكتكين ثم تربـع على عرش الغوريين الملك غياث الدين محمد بن بهاء الدين سنة ٥٥٦ هـ وكان أخوه شهاب الدين محمد الغوري ساعده الأيمن ومؤسس الدولة الغورية وهو الذي قضى على دولة الغزنويين نهائياً (١) .

وقد لعب شهاب الدين دوراً في الهند يشبه إلى حد كبير دور محمودالغزنوي فيها ، فقد كانت لكل منها حروب وفتوحات ، عقد عليه فيهـا لواء النصر ومكن لحكم الاسلام فيها .

فتوحاته في الهند :

عندما ضعفت الدولة الغزنوية في الهند ان الراجيوتيون والقرامطة والاسماعيلية اغتنموا الفرصة الذهبية للاستيلاء على أراضي الهنـد وكانوا يثيرون الفـتن والاضطرابات بين سكانها (٢) .

ولذلك نرى أن شهاب الدين الغوري وجه أول ضربـة إلى القرامطـة

---

(١) ابن الأثير ١١-٦٣ ، ٦٤ ومحمد الخضري : محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ص ٦٢٧ .

(٢) دكتور ساواتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ٨٦ .

قليلة لأن الواقع لم يزيد عدد المساجد اثني عشر مسجداً وبقيت معابد الهندوس على حالها [١] .

ويمكن أن نستنتج أن الأهداف السياسية هي التي كانت تحكم فتوحات الغوريين في الهند . وكان هدفهم تحقيق الدولة في الدرجة الأولى .

شهاب الدين في نظر التاريخ :

يقول المؤرخ ابن الأثير « وقد كان شهاب الدين شجاعاً مقداماً كثير الغزو عادلاً في رعيته حسن السيرة فيهم ، حاكماً بينهم بما يوجبه الشرع المطهر ، وكان العلماء يحضرون عنده فيتكلمون في المسائل الفقهية وغيرها ، وكان فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير يعظ في داره ، فحضر يوماً ووعظ وقال في آخر كلامه : يا سلطان ، لا سلطانك يبقى وان مردنا إلى الله فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس لكثرة بكائه » [٢] .

وقال المؤرخ الفرنسي رينه غورسه ان شهاب الدين الغوري أسس ملكاً عظيماً ثابتاً وطيداً ، تعاقبت عليه الدول الإسلامية التي جاءت بعده من ترك وأفغان وطفلوقين وسادات وتيمورين، وكان دستور هذا الملك وحدة الدولة» [٣] .

يقول المؤرخ ايشوري براشاد « ان محمد الغوري كان سياسياً أكثر من مذهبياً وانه ليس كما كان محمود الغزنوي انه درس حالة ضعف الهند وقرر إنشاء دولته المستقلة ، ان محمود الغزنوي لم يستطع أن يرى مستقبله بسبب أطماعه ولكن محمود الغوري قد اختار طريقاً آخر وحاول الاتحاد بين دويلاته المفتوحة وساعده في هذا مملوكه قطب الدين [٤] .

---

(١) خليق نظامي : سلاطين دهلى كى مذهبى رجحانات ص ١٩ (بالاردية) .
(٢) ابن الاثير ٢-٨٤ .
(٣) نقلا عن تاريخ الاسلام في الهند ص ١٠٣ عبد المنعم النمر .
(٤) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India P. No. 74

علاقة الغوريين بالخلافة :

في عصر غياث الدين توطدت العلاقات بينه وبين الخليفة العباسي ببغداد وقد بعث غياث الدين عالماً شهيراً وهو عثمان الجرجاني سفيراً إلى الناصر لدين الله الخليفة العباسي في بغداد . وكان أخوه شهاب الدين الذي أنشأ الدولة الغورية هو الآخر مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالخلافة العباسية في بغداد [١] .

ومن المحتمل أن يكون حكام المملكة الغورية يذكرون اسم الخليفة العباسي في الخطبة . وكانت الهدايا مع الوفود الدبلوماسية الغادية والدائمة بين الدولة العباسية وحكام المملكة الغورية بين الحين والحين لها أمر جليل في هذه العلاقات.

---

(١) أبو الحي الحسني : نزهة الخواطر ١-١١١ .

لقطب الدين ، جلب في صغر سنه إلى « بخارى » وبقى يتنقل من سيد إلى سيد حتى اشتراه قطب الدين ورباه في مهد السلطنة ، وأخذ يتدرج في المناصب حتى صار أميراً على الجند وزوجه السلطان بابنته ، ويقول ابن بطوطة « لمامات قطب الدين استبد بالملك وأخذ الناس بالبيعة ، فأتاه الفقهاء يتقدمهم قاضي القضاة إذ ذاك « وجيه الدين الكاشاني » فدخلوا عليه وقعدوا بين يديه ، وقعد القاضي إلى جانبه كالعادة وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه فيه ، فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه ، وأخرج لهم عقداً يتضمن عتقه ، فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعاً [(١)] .

عندما تولى السلطان التمشي الحكم وجد بعض التمرد في الهند حين استقل قائد قطب الدين قباجة بالملتان والسند كما تولى الخلجيون الأمر في بهار والبنغال. على أن أمراء آخرين من رجال الغوريين ومعهم طائفة من أتباع السلطان الراحل قطب الدين أيبك ، لم يتقبلوا هذا الوضع الجديد بقبول حسن ، فلم يرضوا بأن ينصب عليهم السلطان هو في الواقع مملوك لمملوك.

وإلى جانب هؤلاء الناقمين كان هناك الهنادكة الذين يرون في سيادة المسلمين بلادهم مجرد محنة عابرة عليهم ألا يغفلوا أبداً من انتهاز أية فرصة تلوح لهم للخلاص منها فما أن استقرت الأمور في دهلي وتوابعها حتى هاجم يلدز الذي خرج من غزنة وهزم ناصر الدين قباجة حاكم السند واستولى على الإقليم كله ، ولكن السلطان شمس الدين التمشي خرج لمواجهته ظل يطارده حتى أسره وقتله ثم هاجم السلطان علي ناصر الدين قباجة الذي تمهد له بالولاء . وكذلك أفلح التمشي في القضاء على جميع الفتن التي أثارها بعض أمراء الهندوس على أثر وفاة أيبك [(٢)] .

وفي عهده سنة ٦١٧ هـ غزا جنكيز خان البنجاب الغربية ، ولكنه رجع

---

(١) ابن بطوطة : مهذب الرحلة ٢-٣١ .

(٢) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India P. No. 81

عنها وهنالك تنفس النمشي الصعداء فسار إلى أوريسه وبنكال و كواليار وغيرها من البلاد التي ثارت على حكمه بعد موت قطب الدين وأخضعها تماماً ثم توفي في سنة ٦٣٣ هـ .

خلفاء السلطان النمشي :

عندما أراد السلطان النمشي أن تولى سلطانه رضية الولاية في ذلك الوقت كان يوجد هناك الاستياء من الوزراء وقالوا من السلطان لا تستحق السلطانة رضية الولاية من الناحية السياسية فرد عليهم السلطان قائلاً « ان ابناي لا توجد عندهم أية صلاحية للولاية ولذلك قررت أن ابنتي هي تحكم البلادبعدوفاتي»(١).

عندما جاءت السلطانة رضية في الحكم وجدت بعض المتاعب أمامها فقد رفض الوزير محمد الجنيدي ولائها وهكذا لم يرض أمراء الأقاليم بتولية السلطانة رضية ، ولكن الأمور هدأت بسياسة السلطانة رضية وساد الهدوء في البلاد على حد قول المؤرخ ايشوري براشاد أن الشعب قد اعترف من لكهنوتي إلى داميل وإلى دامر بيلا بولائها وامتثل لحكمها (٢) .

ان هذه السيدة قادت بنفسها حملات عديدة ناجحة للقضاء على عصيان الأمراء من مسلمين وهنادكة والتي كانت تجوب الأسواق في ملابس الرجال وتجلس إلى الناس تستمع إلى شكاواهم ، غلبتها أنوثتها آخر الأمر فتعلق قلبها بأمير الخيل في بلاطها ، وكان عبداً حبشياً يدعى جمال الدين ياقوت فأثارت بذلك عليها حفيظة الأمراء جميعاً فقتلوه ثم انقلبوا يحاربونها بزعامة أخيها بهرام شاه وفي الآخر قضى عليها (٣) .

---

(١) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India P. No. 88

(٢) نفس المصدر ص ٨٤ .

(٣) دكتور ساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ١٠٠ .

ذلك أن طغرل كان على أثر انتصاره قد زحف خارج حدود بلاده حتى بلـــغ لكنهاوتي فانقض على جيش دهلي فأباده .

هنالك بلغ ارتياع السلطان أشده فقرر الخروج بنفسه إلى البنغال فمهـــد بشؤون الدولة إلى وزيره ملك فخر الدين ثم قصد إلى سمانة وسنام فطلب إلى بفراخان أن يصحبه .

وأقسم السلطان ألا يبرح البنغال إلى دهلي قبل أن يوقع بطغرل ، ولو اقتضاه ذلك ركوب البحر وراءه واستطاع رجال العيون السلطان آخر الأمر الاهتداء إلى معسكر الأمير الثائر في مخبأ يتوسط الغابات ، فسقطوا عليه في غفـــلة من الحرس ، وأصاب أحد الجند طغرل بسهامه وهو يحاول عبور أحدالمجاري المائية هرباً وقطع رأسه وأسرع بها إلى مقام السلطان بلبن .

من المعروف أن بلبن قد وكل بابنه الأكبر محمد أمر الجبهة الغربية وبفراخان بسمانة أقرب المراكز إلى المناطق التي كان يحتلها المغول .

وخرج محمد عام ٦٨٤ هـ لدفع خطر المغول عن لاهور وديالبور ولكنه نالته رماحهم وبعث بلبن على أثر هذه الكارثة إلى ابنه الآخر بفراخان يدعوه اليـــه ليوليه عهده لكنه آثر البقاء في البنغال بعيداً عن مشاكل الملك بالعاصمة ومن ثم أوصى السلطان بالملك من بعده لحفيده كيخرو وابن الأمير الشهيد محمـــد ، ولكن كيخرو لم يستطع أن يتولى العرش لأن السكان كانوا لا يحبون أبوه محمـــد كما قال الاستاذ عبد المنعم النمر ثم اتجهت الأنظار إلى أن يتولى كيقاد بن بفراخان زمام السلطة ولكنه كان حديث السن وترك زمام الحكم بيد نائبه .

وفي نفس الوقت قام خلاف بين الأتراك والأفغان وكان كل منهما يريد السيطرة على الحكم . ولكن النجاح كان من نصيب الأفغـــان فتولى جلال الدين الخلجي السلطة الذي عينه كيقاد نائباً عنه ، ودخل قصر السلطان بعد حصاره وقتـــل (كيقاد) وقد وقعت هذه الحادثة سنة ٦٨٩ هـ .

غياث الدين بلبن في نظر التاريخ :

يقول المؤرخ ايشوري براشاد « ان حكومة غياث الدين بلبن تحتل مكاناً في تاريخ الهند ، ان حياته حافلة بالأعمال وأنه خلع على السلطنة هيبة كبيرة، وأقام الهدوء والأمن في الهند بسياسته الحديدية والدموية » [١] .

يقول المؤرخ ضياء الدين برني عن بلبن « انه قلد معظم التقاليد لملوك السابقة وزين بلاطه على طرز ملوك الأعاجم » [٢] .

في الواقع أن هذا القول يشير إلى نظرية حكومة بلبن التي كانت مستمدة من حضارة الساسانية ولذلك زين بلاطه على طراز ملوك الفرس ورفع مكان السلطان عن بقية الناس ان نظريته السياسية كانت تقوم على هذه الأسس على حد قول المؤرخ ضياء برني « ان الملك ينوب عن الله وان الملكية ضد العبودية ان قلب السلطان يكون مظهر الربانية الذي قلما يوجد في قلوب الناس الآخرين وأن الملكية عبارة عن الاحترام والتقديس » [٣] .

يمكن لنا أن ندرس حكومته على تلك الأسس ولذلك نرى أنه أحيا التقاليد التقاليد الإيرانية مثل « نوروز » [٤] .

وأن بلاطه قد زين بماء الذهب على حد قول المؤرخ ايشوري براشاد [٥] هذا من ناحية ولكن من ناحية أخرى أن السلطان يرى لا بد الملك أن يؤدي فرائضه كالخليفة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز [٦] .

---

(١) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ص ١٤٤ .

(٢) ضياء الدين برني : تاريخ فيروز شاهي ص ٢٥ (بالفارسية) .

(٣) ضياء الدين برني : تاريخ فيروز شاهي ص ٣٤ (بالفارسية) .

(٤) خليق حسن نظامي : سلاطين دهلى كى مذهبى رجحانات ص ١٧٦ (بالاردية) .

(٥) Dr. Ishwary Prashad Medival Hisory of India

(٦) ضياء الدين برني : تاريخ فيروز شاهي ص ٣٩ (بالفارسية) .

ولذلك يقول المؤرخون أن شخصيته كانت مركبة من التناقض.

علاقات المماليك بالخلافة :

في العصر المملوكي نرى أن الخلافة العباسية في بغداد كانت تلفظ آخر أنفاسها ومع ذلك وطد ملوك المماليك علاقاتهم مع الخلفاء العباسيين في بغداد ويرجع الفضل في ذلك إلى السلطان شمس الدين التمشي الذي بعث رسوله إلى الخليفة المستنصر العباسي في بغداد سنة ٦٢٦ هـ يطلب منه وثيقة الإعتراف بحكمه في الهند فبعث الخليفة إلى التمشي وثيقة الإعتراف فلما وصلت سفارته تحمل الوثيقة إلى (دهلى) رحب بها الملك ترحيباً حاراً وأقام لها احتفالاً كبيراً واحتشدت فيه جماهير أبناء الهند وقد زينت البلاد بأنواع الزخارف وشيدت قباب مزخرفة في أنحاء البلاد وفي وسط هذا المهرجان فرشت وثيقة الإعتراف أمام الجماهير المحتشدة ولبس السلطان خلعة الخليفة ثم قام شاعر البلاط (تاج الدين زيزه) أشهر شاعر فارسي وأنشد قصيدته الرائعة التي أشاد فيها بالخلافة ووثيقة الإعتراف وسرور الملك بها ، وهذه القصيدة لا تزال تعتبر آية من الروعة والبلاغة ثم وفد عشرات من العلماء العرب إلى العاصمة دهلى ومن أشهرهم القاضي جلال الدين العروسي الذي حمل معه رسالة الخليفة العباسي ببغداد إلى السلطان التمشي فطار الملك فرحاً بهذه الرسالة وبعناية الخليفة به [1].

ان المستشرق الانجليزي أرنولد أكد نفس الشيء ولكن بأسلوب آخر «وأحس آيل تومش بحاجة إلى مؤيد شرعي لاغتصابه ولكن عدة سنين على توليته عرش دلهي قبل أن يلتمس الولاية ولم يرسل كتاب التقليد من قبل المستنصر بالله إلا سنة ١٢٢٩ م ، موافقاً على امتلاك آيل تومس كل البلاد والبحار التي فتحها وخلع

(١) صباح الدين عبد الرحمن : بزم مملوكية ص ١٠٤ (بالاردية).

عليه لقب السلطان العظيم . قرئت الوثيقة بمهابة في اجتماع عظيم عقد في دلهي ومن ذلك التاريخ وضع آيل تومس اسم الخليفة على نقوده »[1] .

ثم ابنته رضية سلطانة انها وطدت علاقتها مع الخليفة العباسي ببغـــداد كما كان شأنها أيام أبيها فأرسل الخليفة (الشيخ رضى الدين الصفاني) أشهر لغوي هندي إلى بلاط السلطانة رضية وبقي هناك مدة طويلة ثم عاد إلى بغداد في سنة ٦٣٧ هـ على أثر وفاة السلطانة رضية [2] .

كان أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر آخر خليفة عباسي فيبغداد وقد بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المستنصر بالله في العاشر من جمادى الآخر سنــة ٦٤٥ هـ الموافق ٦ من ديسمبر سنة ١٧٤٢ ولم يزل خليفة إلى أن قتل على يـــد هلاكوخان في ٢٠ من المحرم سنة ٦٥٦ هـ الموافق ٢٧ من يناير سنة ١٢٥٨موبقتله انتهت الخلافة العباسية ثم ظهرت مرة أخرى في مصر [3] .

رغم ما وصلت اليه الخلافة العباسية من ضعف وتدهور ، وأصبح الخليفـة العباسي في مصر مجرد رمز الزعامة الإسلامية الا أن سلاطين الهند استمروا على ولائهم له ثم ان السلطان غياث الدين بلبن أوصى أولاده أن يسعوا في حصول الاعتراف من الخلافة [4] .

يقول فرشته ان الناس كانوا يتدفقون على الهند عندما انتهت الخلافةالعباسية

---

(١) أرنولد الخلافة ص ٤٦ ترجمة : جميل معلى .

(٢) صباح الدين عبد الرحمن : بزم مملوكية ص ٩١ (بالاردية) .

(٣) محمد الخضري : محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ص ٦٥٢.

(٤) ضياء الدين برني : تاريخ فيروز شاهي ص ١٠٣ (بالفارسية).

في بغداد وانهم كانوا يقفون أمام البلاط السلطاني دهل صفا ولكن سمح لاثنين من الأمراء أن يجلسا في البلاط كانا من أبناء الخلفاء العباسيين [١]، وهكذا أنه أبقى اسم الخليفة على العملات وسمى نفسه « ناطر أمير المؤمنين » [٢].

---

(١) تاريخ فرشته ١-٧٠٥ (بالفارسية) .

(٢) Wrighe:The Cornage & Metrology of The Sultane of Delhi P. No. 59 .

Thomas:The Pathan Kingdom of Delhi P. No. 134 .

الدولة الخلجية (٦٨٩ ٧٢١ هـ)

تحدثنا أنه كان يوجد هناك صراع للسلطة بين الأتراك والأفغان وكان كل منهما يريد السيطرة على الحكم وأن آخر حاكم للدولة المملوكية (كيغباد) يحكم اسمياً ولكن وراءه كانت قوى أخرى التي تحكم البلاد . ان السلطان (كيغباد) عندما رأى أن نفوذ افغان يزداد يوماً بعد يوم ولذلك أنه عين جلال الدين خلجي نائباً عنه أو بمعنى آخر هو الذي أصبح الحاكم الحقيقي . ولكن الأفغان لم يتوقف عند هذا الحد بل قتلوا (كيغباد) وبهذا جلس جلال الدين الخلجي على العرش بصفة رسمية (٦٨٩ هـ) .

وقد حدثت في أيامه بعض الثورات ولكنه قمعها كما رد بعض غارات المغول . ولكن ان هذا السلطان قتل بمؤامرة في سنة ٦٩٥ هـ ، التي دبرت من ابن أخيه (علاء الدين) الذي كان يوجد عنده طموح للسلطة بلا حدود وبهذا تولى علاء الدين الخلجي الحكم [١] .

وغزا المغول أرض الهند من جديد فانبرى لهم علاء الدين في حروب طويلة استمرت إلى سنة ٧٠٥ هـ حتى رد غائلتهم عن البلاد ، وكان علاء الدين قد نهج كذلك نهج سلفه العظيم بلبن باقامة حصون قوية عند الحدود الغربية وتزويدها بالجند المدرب القوي المعتاد الحربي [٢] .

ان هذا الملك كسب للمسلمين فتوحات جديدة فأخضع (بهوبال) واجتاح

---

(١) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ص ١١٧ .

(٢) د · ساتلاتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ١١٧ .

بلاد (المهرات) في مقاطعة بلاد بومباي الحاضرة وضرب على راجا المهرات الجزية وكذلك فتح الهند الوسطى واستولى على مملكة كجرات ثم غزا مملكة (جيثور) ونتيجة هذه الفتوح فقد حقق علاء الدين الخلجي مكاسب كثيرة للمسلمين .

يظهر أن علاء الدين الخلجي كما يذكر لنا تاريخ فيروز شاهي أنه أول ملك حرم الخمر والربا فكان يعاقب من يعمل بها وجعل من نفسه القدوة لقومه (١) .
وصادفت النظم المالية والإدارية التي وضعها علاء الدين قدراً كبيراً من التوفيق والنجاح . وأدت رقابته على الأسواق والأسعار مع تشدده في معاقبة مدلس التجار إلى أن عم اليسر والرخاء البلاد (٢) .

ان السلطان توفي في عام ٧١٥ هـ وبعد ذلك جاء حكاماً آخرين الذين ما استطاعوا أية فتوحات أو مكاسب جديدة لدولتهم بسبب الصراع الداخلي للسلطة حتى انتقلت الحكومة من الخلجيين إلى آل تغلق .

جدير بالذكر أن هناك ثغرة فيما بين العلاقات الهندية والخلفاء العباسيين — أمدها اثنان وثلاثين عاماً كانت على أيام الدولة الخلجية التي استلمت مقاليد الحكم في الهند بعد مقتل كيقباد المملوكي وكان السبب في هذا الفتور بالعلاقات هو انشغال ملوك الدولة الخلجية ولا سيما في عهد ملكها القوي علاء الدين الخلجي بالفتوحات التي حققت للمسلمين مكاسب عظيمة ، كما أن للصراعات الداخلية التي قضت على الدولة الخلجية أثر في عدم وجود علاقات كما دعى إلى انتقال الخلافة العباسية إلى مصر بسبب الغزو المغولي القاسي والذي سبب اضطراب سياسي واجتماعي في المنطقة غرب الهند أثر هام في انقطاع هذه العلاقات ولكنها عادت في زمن الدولة التغلقية .

---

(١) تاريخ فيروز شاهي ص ٢٦٣ (بالفارسية) .
(٢) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India P. No. 210

الدولة الطغلقية (غياث الدين طغلق)

ان هذه الدولة قامت على أنقاض الدولة الخلجية التي لم تبرز لها علاقات مع الخلافة العباسية . يذكر المؤرخون أن أب هذه الدولة كان تركياً من(قيروان) وأمه كانت من قبيلة الزط . وأنه عاش في أسرة متوسطـــة ولكن وصل إلى مناصب كبيرة بجهوده الذاتية وأبلى بلاءاً حسناً في عهد علاء الدين ضد المغول وطردهم من البلاد . وعندما تولى السلطة كانت الفوضى تسود في البلاد ولكنه نجح في إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي [١] .

وجهد تغلق في تدعيم ملكه واستعادة سلطنة دهلى سابق هيبتها ونفوذها فبدأ باحياء تعاليم الإسلام في حكومته ورد إلى الأمراء والأعيان ما اغتصب في أملاكهم وامتيازاتهم .

كذلك نجح غياث الدين في استرداد الأقاليم الدكنية والشرقية التي كانت قد ضاعت عن حوزة دهلى فبعث بابنه آلغ خان إلى الجنوب فانتزع تلنجانا من أيدي براتاب وضمها إلى ملكه . ذلك ان هذا الأمير الهندوكي كان قـــد انتهز فرصة ضعف الدولة أيام مبارك شاه الخلجي فنقض عنه طاعة السلطان ورفض إرسال الجزية اليه وسار هو بنفسه إلى الأقاليم الشرقية حتى بلغ البنغال فأقر له بالطاعة أميرها ناصر الدين حفيد بغراخان بن بلبن [٢] .

ولكنه لم يتمتع طويلا بنجاحه ففي أثناء عودته دبر له مؤامرة ، حيث بنى

Dr. Ishwary Prashad Medival History of Inbia P. No. 127 (١)

(٢) د . ساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ١٣٢ .

له بيتاً من خشب على بعد ستة أميال من دهلي لكي يستقر فيه عند عودته هناك وأهدم هذا البيت فمات السلطان فيه . يقول جماعة من المؤرخين ان ابنه (الغ خان) كان وراء هذه المؤامرة [1] .

سلطان محمد بن طغلق :

ان السلطان محمد بن طغلق يعتبر من أعظم السلاطين الهنود يقول ضياء الدين برني « ولو كان أرسطو حياً لكان يتعجب بصلاحية هذا السلطان العظيم » [2]

يقول الدكتور ايشوري براشاد « ان الذين حكموا من السلاطين الهنود على الهند يعتبر السلطان محمد بن طغلق أكثرهم علماً » [3] .

كان يريد محمد بن طغلق أن يتوسع في مملكته ان التاريخ يشير أن بعض أمراء الخراسانيين لجأوا إلى بلاطه وأنهم حرضوا السلطان أن يهاجم خراسان وان السلطان قد أعد جيشاً لهذا الغرض ولكن ان هذا الهجوم لم يتم بسبب الأحوال الداخلية وهناك روايات تاريخية تقول ان محمد بعث بحملة قوية إلى ولايات الهملايا العليا فدهمتها الثلوج فقضت على أكثر أفرادها ، وقد ادعى بعض المؤرخين بأن سلطان دهلي إنما سير هذه الحملة لغزو الصين طمعاً في كنوزها .

في الحقيقة هؤلاء المؤرخين استندوا في قولهم إلى كلام تاريخ فرشته الذي يقول ان السلطان عندما سمع عن كنوز الصين فطمع في الحصول عليها .

ولكن يبدو لي أن هذا غير صحيح لأن ابن بطوطة يقول انه هاجم جبل كراجبل .

---

(۱) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India p. No. 128

(۲) ضياء الدين برني : تاريخ فيروز شاهي ص ٤٥٧ (بالفارسية) .

(۳) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India P. No. 129

يقول الدكتور ايشوري براشاد كان هناك أمير رفض ولاء السلطان ولذلك أنه بعث جيشاً اليها [١] .

بعد ذلك وجه السلطان عنايته نحو بعض مشروعاته الإصلاحية فتعالى من فرض الضرائب بإقليم الدواب أخصب مناطق الهند وأغناها حتى هجروا الناس إلى الغابات فراراً مما ألزموا به من أموال عجزوا عن أدائه فعم الخراب .

يقول الدكتور ايشوري براشاد ان الضريبة التي فرضت على سكان دواب وطريقة حصولها كانت تفوق القوة البشرية [٢] .

وان مشروعه الثاني الذي اتخذ السلطان وهو انتقال مركز الحكومة من دهلي إلى دولت آباد ويبتعد بذلك عن مواطن الخطر المغولي من جهة ويتوسط من جهة أخرى ، دولته الواسعة التي كانت تمتد من الهملايا إلى جنوب الدكن وعن البنغال إلى أرض كابل .

وان الإجراء الثالث التي اتخذت من جانب السلطان محمد طغلق وهو تحديد أسعار مختلف المعادن وتغيير العملة في المعدن الذي يمكن الوصول اليه بسهولة [٣] .

وقد توفي محمد طغلق عام ٧٥٢ هـ ابان إحدى حملاته في السند .

وبعد ذلك تولى السلطة فيروز شاه سنة ٧٥٣ هـ وخلفاءه وانتهت هذه الدولة عام ٨٠١ هـ عندما استولى تيمور على دهلي وفر محمود آخر حكام هذه الدولة إلى كجرات .

علاقاتهم بالخلافة العباسية بمصر :

وفي أواخر أيام الدولة المملوكية في مصر كانت الأسرة التغلقية التي أسسها

---

(١) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India P. No. 140

(٢) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India P. No. 164

(٣) Dr. Ishwary Prashad Medival History of India P. No. 164

القائد التركي غياث الدين التغلق في سنة ٧٣١ هـ تحكم الهند وكان محمد بن طغلق الذي تولى الحكم من بعده وهو الذي وفد إلى بلاطه الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة وهو الذي طلب من الخليفة بمصر إرسال وثيقة الاعتراف به كما سنذكر بعد قليل وقد ظلت هذه الأسرة تحكم الهند إلى سنة ٨٠١ هـ .

ان المؤرخ عندما يدرس علاقة محمد طغلق بالخلافة العباسية يجد هناك فترتين الفترة الأولى تبدأ من سنة ٧٢١ هـ وتنتهي سنة ٧٤١ هـ وان الفترة الثانية تبدأ من سنة ٧٤١ هـ وتنتهي في سنة ٧٥٢ هـ .

لا توجد هناك أية علاقة في الفترة الأولى مع الخلافة العباسية وكان مكتوباً على العملات أسماء الخلفاء الراشدين والآيات القرآنية والكلمة الطيبة فقط ونجد في بعض العملات « والله الغني وأنتم الفقراء » « محيي السنن وخاتم النبيين » « والملك والعزة لله » « من أطاع السلطان فقد أطاع الرحمن » « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » على كل حال لا نجد في هذه الفترة أسماء الخلفاء العباسيين على هذه العملات [١] .

ولكن نجد في الفترة الثانية تحولاً كبيراً في علاقة السلطان بالخلافة العباسية ولذلك في هذه الفترة نجد أسماء الخلفاء العباسيين في العملات ولا يوجد هناك اسم السلطان [٢] .

أن المؤرخين حاولوا معرفة هذا التحول في علاقة السلطان فذهب جماعة من الباحثين إلى أن العلماء والمشايخ قد أظهروا سخطهم ضد السلطان وأنهم كانوا غير مطمئنين عن حالته الدينية ولذلك حاول السلطان أن يأخذ الاعتراف

Thomas The Pathan King Domof Delhi P. No. 216 (١)
N. Wright The Coinade & Metrology of The Snltan of Delhi P. No. 125

(٢) نفس المصدر ص ٢٥٩ ، ص ١٤٩ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ٢-٤٤ .

والخلعة من جانب الخليفة يمكن لنا أن نسمي هذه العملية في لغتنا الحديثة (المساومات السياسية) .

ولكن في رأيي أن السلطان كان له اعتقاد شديد في الخلافة العباسية ، لأن مصر بعد انتقال الخلافة اليها أصبحت مركزاً للعالم الإسلامي وتوجهت اليها أنظار المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، ولما كانت الهند على علاقة وثيقة مع الخلفاء العباسيين منذ القدم فقد رغب محمد بن طفلق في التقرب إلى الخليفة وتوطيد العلاقات مع مصر . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن علماء العرب الوافدين على الهند في هذه الآونة رغبوا سلطان الهند في التقرب إلى الخليفة نذكر منهم الشيخ عبد العزيز الادويلي (وهو محدث وفقيه مشهور) وهو الذي قرأ بدمشق على شيخ الإسلام ابن تيمية وبرهان الدين ابن البركح وجمال الدين المزي وشمس الدين الذهبي وغيرهم من أشهر العلماء المسلمين في هذه الفترة ثم قدم على الملك محمد بن طفلق في دهلي فرحب به الملك وأحسن اليه وأكرمه فذكر له الشيخ أحاديث الرسول ﷺ التي تتعلق بفضل عباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله بن عباس رضي الله عنه ثم ذكر مآثر الخلفاء العباسيين مما جعل الملك يتشوق إلى الاستماع إلى فضائل آل عباس والرغبة الشديدة فيهم .

وهذه البواعث دعته للحصول على تقليد بولايته من الخليفة العباسي بالقاهرة فأجابه الخليفة المستكفي بالله العباسي إلى رغبته وننقل هنا ما رواه الرحالة الشهير ابن بطوطة الذي عاين بنفسه هذه الأحداث « يقول ابن بطوطة » وكان السلطان قد بعث بهدية إلى الخليفة بديار مصر وهو أبو العباس وطلب منه أن يبعث له أمر التقدمية على بلاد السند والهند اعتقاداً منه في الخلافة فبعث اليه الخليفة أبو العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر « ركن الدين » فلما قدم عليه بالغ في إكرامه وأعطاه عطاء جزيلاً وكان يقوم له متى دخل عليه ، ويعظمه ثم صرفه وأعطاه أموالاً طائلة وفي جملة من صفائح الخيل ومساميرها كل ذلك من الذهب الخالص .

وفي جملة ما بعث اليه الخليفة عباءة سوداء مذهبة مرصعة بالجواهر وعمامة فكان الملك يحتفظ بها ويخلعها على أشهر العلماء الذين كانوا يفدون اليه [١].

يقول المؤرخ ضياء الدين برني « كان السلطان يعتقد أن الحكم بدون إقرار من الخليفة العباسي غير شرعي وأن الذي يحكم بدون موافقة الخليفة يكون مغتصباً ، ولذلك كان السلطان يهتم بالسؤال عن الخليفة ولما علم أنه موجود في القاهرة أرسل يطلب منه وثيقة الاعتراف كما أمر أن يزال اسمه من النقود ويكتب اسم الخليفة بدلاً عنه ، ويقول المؤرخ أن تقدير السلطان للخليفة قد بلغ حداً يفوق الوصف [٢].

ان ابن بطوطة يحكي لنا قصة تشير إلى أي مدى كان السلطان يقدس الخليفة « ان الأمير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي قد وفد على السلطان علاء الدين شيرين ملك ماوراء النهر فأكرمه وأعطاه الزاوية التي على قبر قثم بن العباس رضي الله عنهما واستوطن بها أعواماً ثم لما سمع بمجيء السلطان لبني العباس وقيامه بالدعوة لهم أحب القدوم عليه ، وبعث له برسولين أحدهما صاحبه القديم محمد بن أبي الشرقي الحرباوي والثاني محمد الهمداني الصوفي فقدما على السلطان . فلما وصل رسولاه إلى السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار وبعث معهما بثلاثين الف دينار إلى غياث الدين يتزود بها اليه وكتب له خطاباً بخط يده يعظمه فيه ويسأله القدوم عليه فلما وصله الكتاب رحل اليه فلما وصل إلى بلاد السند وكتب المخبرون بقدومه فبعث السلطان من يستقبله على العادة ثم لما وصل إلى (سرسين) بعث أيضاً صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء لاستقباله ثم بعث الأمراء لاستقباله كذلك . فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان

---

(١) رحلة ابن بطوطة ٢-٤٣ .

(٢) ضياء الدين برني : تاريخ فيروز شاهي ص ٤٩٢ (بالفارسية) .

بنفسه لاستقباله . فلما التقيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطـــان وخدم . فخدم له السلطان وكان قد استصحب هدية في جملتها ثياب فأخذ السلطان أحدها بيده وقدمها له وحلف أن يركب وأمسك بركابه حتى ركب السلطان وسايره والشجر يظلهما معاً وأخذ البتول بيده وأعطاه إياها ، وهذا من أعظم ما أكرمه به ، فانه لم يفصل ذلك مع أحد غيره وقال له لولا اني بايعت الخليفة أبا العباس لبايعتك فقال له غياث الدين وأنا أيضاً على تلك البيعة وقال رسول الله ﷺ تسليماً من أحيا أرضاً مواتاً فهي له وأنت أحييتنا ، فأجابه السلطان بألطف جواب وأبره » [١] .

هكذا نرى أن العلاقات ظلت مستمرة بين حكام الهند المسلمين ، والخلفاء العباسيين حتى بعد انتقال الخلافة إلى مصر ، وما وصلت اليه من ضعف ،ولكن هذه العلاقة كانت لا تتعدى تلقي هؤلاء الحكام اعتراف الخلافة بولايتهم .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ٢-٤٦ .

الباب الثـــاني

العلاقات الفكرية

الباب الثانى

العلاقات الدينية

تناول الباب الأول العلاقات السياسية بين الهند والخلافة العباسية متتبعاً مراحل هذه العلاقات ، مبيناً طبيعتها، ولكن العلاقات بين الهند والدولة العباسية لم تقتصر على الناحية السياسية فقط ، بل تعدت السياسية إلى الناحية الثقافية ، ولأهمية الناحية الثقافية في الدراسات التاريخية الحديثة رأيت أن تفرد لها باباً مستقلاً نتناول فيه العلاقات الفكرية بين الهند والدولة العباسية بشيء من التفصيل .

الفصـــل الاول

العلاقـــات الدينيـــة

العلاقات الدينية

تكلمنا في الفصول السابقة عن العلاقات السياسية التي قامت في ذلك العصر بين الهند والخلافة العباسية وستتحدث في هذا الفصل عن التأثير والتأثر الديني بين البلدين في ذلك العصر .

تأثير العقائد الهندوسية على المسلمين :

اني أحاول في هذا المجال أن أبين تأثير بعض العقائد الهندوسية على المسلمين.

ان الدارس للتاريخ يدرك بوضوح أن أول عقيدة هندوسية دخلت عند المسلمين كانت هي وحدة الوجود في الحقيقة ان عقيدة «وحدة الوجود» هندوسية بحتة وانها تسربت إلى اليهودية والمسيحية ثم الإسلام .

ويجدر بنا قبل أن أدخل في الموضوع أن نفهم ما هي عقيدة «وحدة الوجود» عند الهندوسية .

يقول الاستاذ محمد علي حافظ مبيناً العقيدة المذكورة أن «الانسان من حيث روحه جاء على فطرة الله (Brahaman) وكما أن شرارة النار نار فان الإنسان من نوع الإله ، وروحه لا يختلف عن الروح الأكبر »[1] .

جاء في ويدانت « هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي ، وأن الشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق ، ان الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة

---

(١) ثقافة الهند : سبتمبر سنة ١٩٥٠ ص ١٢٣-١٢٤ .

الأصلية ، وأن الجبال والبحار والأنهار تفجر من ذلك الروح المحيط الذي يستقر في سائر الأشياء »[١] .

ويظهر من العبارة المذكورة أن هذه العقيدة قائمة على الحلول (أوتار) بمعنى أن الله يتسرب إلى العالم كله وأن كل ما نرى فيه هو مظاهره .

وعلى سبيل المثال إذا درسنا اليهودية نجد عندها هذه العقيدة ولكنها تختلف اختلافاً بسيطاً عن الهندوسية لأن اليهودية قد حصرت (الحلول) في الشعب اليهودي فقط لا غيره .

جاء في التلمود : أن أرواح اليهود جزء من الله كما أن الإبن جزء من أبيه[٢] وكما أنهم يتصورون أن اليهودي جزء من الله فإذا ضرب امي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية[٣] .

وان الدارس للمسيحية يدرك بوضوح وجود هذه العقيدة عند المسيحية كذلك بيد أنها مقصورة على التثليث وان التثليث وليد من التناقضات المحيطة بها[٤] .

مثلا ان التعدد في الوحدة والوحدة في تعدد ، وقد قال بها الهنود قبل المسيح بأكثر من الف عام فقد كان عندهم « براهما » و « فشنو » و « سيفا » وكانوا يعدونها ثلاثة جوانب لإله واحد أو كانوا يعدون (براهما) واحد له ثلاثة أقانيم فهو « براهما » من حيث هو موجود وهو « فشنو » من حيث هو محافظ ، وهو « سيفا » من حيث هو مهلك[٥] .

---

(١) دكتور أحمد شلبي : مقارنة الاديان ٤ – ٦٧ .

(٢) نفس المصدر ١ – ٣٦٧ .

(٣) نفس المصدر ١ – ٢٦٨ .

(٤) دكتور احمد شلبي : مقارنة الاديان ٢ – ٩٢ ،

(٥) نفس المصدر ٢ – ٩٥ .

وعلى كل حال فإن مبدأ عقيدة الحلول يوجد في اليهودية والمسيحية كلتيهما ولو أن هذه العقيدة يختلف كل منهما عن الآخر وأما في الإسلام نرى أن أول من نادى بهذه العقيدة وهو كان الحلاج ، ان عقيدة الحلاج في هذا الصدد لا تختلف عن الهندوسية على الاطلاق كما سنوضح .

ان الدكتور أبو العلاء عفيفي يوضح عقيدة الحلاج بقدر من التفصيل بقوله : « خلق الله آدم على صورته ففسرها في ضوء نظرية حلولية هي أشبه ما تكون بنظرية النصارى في طبيعة المسيح ، ولكنه تجاوز حدود النظرية المسيحية إلى نظرية في طبيعة الإنسان بوجه عام . فالإنسان في نظره صورة الله - بارجاع الضمير في قوله « على صورته » إلى الله لا إلى الإنسان - صورة الله التي أخرجها في نفسه في الأزل ، وبواسطتها أعلن عن مكنون سره وجماله ، وهذه الصورة في مظهرها الخارجي مؤلفة من طبيعتين (الناسوت) وهو الناحية البشرية (واللاهوت) وهو الناحية الإلهية وقد مزجت الطبيعتان مزجاً تاماً بحيث نستطيع أن نقول ان هذه تلك وتلك هذه .

يقول الحلاج :

مزجت روحك في روحي كما   تمزج الخمر في الماء الزلال
فإذا مسك شيء مني   فإذا أنت أنا في كل حال
أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا [1]

يقول الحلاج :

سبحان من أظهرنا سوته   سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهراً   في صورة الآكل والشارب

---

(١) دكتور أبو العلاء عفيفي : الثورة الروحية في الاسلام ص ٢٣٢ .

ويقول :

أنت بين الشغاف والقلب تجري مثل جري الدموع في الأجفان
وتحل الضمير جوف فؤادي كحلول الأرواح في الأبدان [1]

هذه أقوال جريئة لم يكن للمسلمين عهد بها قبل الحلاج جرت على لسان صوفي مسلم ادعى أنه صورة الإله القائمة على الأرض وان كل انسان يمثل واحدة من تلك الصور الإلهية التي لا تحصى .

بعد الحلاج نرى « ابن عربي » الذي دعا إلى هذه الفكرة يقول ابن عربي في هذا الصدد « ان الحق والخلق اسمان أو وجهان لحقيقة واحدة إذا نظرت اليها من ناحية وحدتها سميتها حقاً ، وإن نظرت اليها من ناحية تعددها سميتها خلقاً ولكنهما اسمان لمسمى واحد » [2] .

« فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها » « أنه ما في الوجود إلا الله ، ونحن وإن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به ، فمن كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم » [3] .

« وليست هذه الصور إلا مسارح تتجلى فيها صفات الحق واسماؤه ، بلى هي عين تلك الصفات والأسماء » [5] .

هذه العبارات وأمثالها صريحة في تقرير وحدة الوجود من الواضح أن التصور عن وحدة الوجود الذي يوجد عند الهندوس هو نفس التصور الذي نراه

---

(١) دكتور أبو العلاء عفيفي : الثورة الروحية في الاسلام ص ٢٣٢ .

(٢) Dr. Thrachindra The Islamic Influence on Indian Culture P. No. 85 .

(٣) دكتور : أبو العلاء عفيفي : الثورة الروحية في الاسلام ص ١٨٩ .

(٤) نفس المصدر ص ١٩٠ .

(٥) دكتور أبو العلاء عفيفي : الثورة الروحية في الاسلام ص ١٩٠ .

عند الحلاج وابن عربي كما أن المعروف أن الحلاج ذهب إلى الهند ويقول الدكتور أحمد أمين « أن الحسين بن منصور الحلاج الذي ولد سنة ٢٤٤ هـ لما فر من مكة تجرد من لباس الصوفية ولبس المرقعة والقباء ورحل إلى خراسان ، وما وراء النهر وظل في رحلته هذه نحو خمس سنين ثم حج مرة ثانية وعاد إلى بغداد وبنى له داراً فيها ثم رحل إلى الهند » [١].

ولنا أن نستنتبط أنه تأثر بالعقيدة الهندوسية هناك . ومن ناحية أخرى فإن القرامطة تأثروا بهذه الفكرة عندما اتجهوا إلى الهند في سنة ٣٧٥ هـ لإقامة الدولة الفاطمية هناك .

ان كلمة « الأوتار » مكونة من كلمتين Ava يعني بعيداً و Thr يعني ينزل والكلمة كلها تعني بالسنسكريتية نزول إله على صورة مرئية . زعم القرامطة ان المسيح ينزل ولن يكون هذا المسيح المنتظر إلا علياً المسيح الأكبر للمذهب الاسماعيلي فزعموا ان علياً هو الأوتار العاشر المنتظر [٢] .

يقول الشيخ عبد الحي الحسني أن الشيخ صدر الدين السندي من دعاة القرامطة سمى نفسه باسم هندي وصنف كتاباً هندياً سماه (دسا أوتار) قال فيه أن علياً رضي الله عنه كان مظهر الألوهية فتبعه خلق كثير من الهندوكين في بلاد السند ثم دخل (كجرات) في جنوب الهند ودعا الهنود إلى مذهبه فدخل في دينه كثير من الهندوكين ثم صنف كتاباً آخر سماه (كناره) وكان امام الدين الحسني الاسماعيلي داعياً آخر قدم كجرات وتعلم اللغة السنسكريتية أنه دعا أتباعه للبقاء على شعائرهم وتقاليدهم إلا أنه دعا إلى الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له وأن محمداً رسوله وأن علياً مظهر الألوهية تجلى فيه الإله كرشى » [٣] .

---

(١) دكتور أحمد أمين : ظهر الاسلام ١ - ٦٩ .
(٢) دكتور أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ص ٣٣٤ .
(٣) الشيخ عبد الحي الحسني : نزهة الخواطر ٣ - ٩٩ .

رأينا في الصفحات السابقة كيف تسربت عقيدة وحدة الوجود إلى بعض المسلمين .

بعد ذلك نأخذ عقيدة تناسخ الأرواح انها عقيدة هندوسية خالصة ولكنها تسربت إلى بعض المسلمين في ذلك العصر . قبل أن القي ضوءاً على هذه المسألة لا بد لي أن أشير إلى مفهوم تناسخ الأرواح عند الهندوسيين . يقول الاستاذ أحمد البيتشي « ان الديانة الهندوكية ديانة أقدم من البوذية . ولعل جوتاما بوذا قد استمد منها مبدأ خلود الروح وعودتها في صور مختلفة وفي أجساد مختلفة ، إذا فني الجسد حلقت وهبطت لتحتل جسداً جديداً تلازمه وهكذا يفنى ما تتصل به من جسد ولا تفنى هي . وهذا المبدأ بل هذه العقيدة راسخة في أذهان الهندوكين ، وراسخة في أذهان البوذيين وهي عقيدة تناسخ الأرواح »[1] .

يقول ابن حزم عن تأثير التناسخ عند بعض المسلمين ، « افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين ، فذهبت الفرقة الأولى إلى أن الأرواح تنقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجسام أخرى ، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت ، وهذا قول أحمد بن حافظ وأحمد بن مانوس تلميذه وأبي مسلم الخراساني ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب الذي صرح بذلك في كتابه الموسوم « العلم الإلهي » وهو قول القرامطة ، وقال الرازي في بعض كتبه : لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح عن الأجساد المتصورة بالصورة البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصور الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز قتل شيء من الحيوان أو ذبحه البتة .

وعلق ابن حزم على هذا الاتجاه وهو القول بالتناسخ بأنه دعاوى وخرافات بلا دليل .

وما تسرب إلى بعض فرق الشيعة متصلاً بالتناسخ ، القول بالرجعة ، فهي عودة الروح لحياة جديدة ولكنها في الرجعة تعود في الجسم ، أي أن الشخص

---

(١) أحمد البيتشي : الهند خلال العصور ص ٢٣ .

نفسه جسماً وروحاً يعود للحياة بعد الموت ، وقد قال بعض الامامية بعودة علي ابن أبي طالب وقال أكثرهم بعودة الامام الثاني عشر وهو المهدي وسموه «المهدي المنتظر » وقالوا انه سيعود للأرض فيملؤها عدلاً بعد أن ملئت ظلماً » (١) .

يظهر أن بعض الشعراء العرب كانوا متأثرين بالعقيدة التناسخية الهندوسية ان اسم الشاعر المتنبي يلمع في هذا المجال . يقول عنه الدكتور شوقي ضيف «ويظهر أن المتنبي اتصل بكل ما عرف لعصره من معارف ففي ديوانه من كل عقيدة وكل ثقافة طرف ، فيه إشارات مختلفة للتناسخ فقد كان منتشراً بين المتشيعة فهم يرون انه في سنة ٣٤١ هـ ظفر الوزير المهلبي بقوم من التناسخية فيهم شاب يزعم ان روح علي بن أبي طالب انتقلت اليه ، ومنهم امرأة تزعم ان روح فاطمة رضي الله عنها انتقلت اليها ، وفيهم آخر يزعم انه جبريل فضربوا فالتجأوا إلى أهل البيت فأمر معز الدولة باطلاقهم لتشيع كان فيه . ويقول المتنبي :

تمتع من سهاد أو رقاد ... ولا تأمل كسرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى ... سوى معنى انتباهك والمنام

وهو يشير بثالث الحالين إلى التناسخ الذي لا يقع فيه — كما يقول من يؤمنون به — موت ولا نوم » (٢) .

وكذلك نرى في العقائد البوذية واضحة كل الوضوح عند أبي العتاهية شاعر الزهد لأن بوذا كان من أشهر الناسكين والزهاد وكان أتباعه يسلكون طريقة في الزهد والتنسك وانتشر في العراق والشام باسم السمينة :

يا من تشرف بالدنيا وزينتها ... ليس التشرف رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف القوم كلهم ... فانظر إلى ملك في زي مسكين

فقد اتخذ أبو العتاهية في هذا البيت قصة (بوذا) الذي هجر قصره وبلده

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ١ — ٩٠ .
(٢) دكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٧٠٩ .

وساح في الأرض عابداً ربه مثالاً للرجل الفاضل »[1] .

وأما أبو العلاء المعري الذي كان من أعظم الشعراء والفلاسفة فقد تأثر بالفكر الهندي القديم من نواحي كثيرة وهو أول شاعر عربي تأثر بالبراهمة في تركه أكل اللحوم ومشتقاتها رحمة بالحيوان . يقول الدكتور شوقي ضيف معلقاً عليه « على كل حال كان أبو العلاء نباتياً قد صد عن أكل اللحوم ودعا إلى ذلك . وله حوار طريف مع داعي الدعاة في هذه المسألة يرجع اليه القارىء في ترجمته بياقوت ولكن هل هذه النباتية في أبي العلاء تجعلنا نزعم أنه فيلسوف ؟ انها طريقة في الحياة وليست طريقة في التفكير .

على أننا إذا أردنا تصحيح القياس وجب لكي نثبت فلسفته عن هذه المقدمة أن نكون على يقين من أن هذه النباتية يونانية أو أنها مذهب فلسفي من مذاهب اليونان وليست النباتية من مذاهب اليونان وإنما هي مذهب هندي يرجع إلى البراهمة وقص علينا ذلك كل من ترجموا لأبي العلاء يقول ابن الأنباري « يحكى عنه أنه كان برهمياً انه وصف لمريض فروج فقال استضعفوك فوصفوك ؟ ويقول ابن الجوزي « كان ظاهر أمر أبي العلاء يدل على أنه يميل إلى مذهب البراهمة فانهم لا يرون ذبح الحيوان ويجحدون الرسل » .

ويقول ياقوت عنه « كان متهماً في دينه يرى رأي البراهمة لا يرى إفساد الصورة »ولا يأكل لحماً ولا يؤمن بالرسل والبعث والنشور ويقول أبو الفداء«نسب أبو العلاء إلى التمذهب بمذهب الهنود لتركه أكل اللحم خمساً وأربعين سنة ، وكذلك البيض واللبن وكان يحرم إيلام الحيوان » ويقول ابن فضل الله العمري « ترك أبو العلاء أكل لحوم الحيوان وعموم ما يجري مجراها في الأعمال والألبان ومال في هذا إلى رأي الحكماء وقال بمذهب البراهمة في تجنب إراقة الدماء » .

وواضح من هذه النصوص أن العرب لم يصلوا بين نباتية أبي العلاء وفلسفة

---

(١) دكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٢٣ .

اليونان إنما وصلوا بينها وبين التبرهم والبراهمة فهي ليست شيئاً يونانياً ومن الخطأ أن يعتمد عليها الباحثون في إثبات فلسفة أبي العلاء وهي لا تمت مباشرة إلى اليونان وفلسفتهم »[١].

ومن أبياته الرائعة في هذا الصدد :

غدوت مريض العقل والدين فالقني ... لتسمع أنباء الأمور الصحائح
فلا تأكلن ما أخرج البحر ظالماً ... ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
وبيض أمات ارادت صريحة ... لأطفالها دون الغواني الصرائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت له ... كواسب من أزهار نبت فوائح
فما أحرزته كي يكون بغيرها ... ولا جمعته للندى والمنائح

قال الدكتور طه حسين في تعليقه على تلك القصيدة « ولما شاعت هذه القصيدة عن أبي العلاء وانتهت إلى مصر ، كانت المناظرة بين أبي نصر هبة بن أبي عمران داعي الدعاة وبين أبي العلاء في تحريم الحيوان ومن قرأ هذه الرسائل لم يشك في أن أبا العلاء إنما كان يدافع الرجل مدافعة ولا يريد مناظرته . فقد زعم أنه ترك الحيوان - وهو يعتقد أنه مباح وان ذلك تجاوز عما أباح الله له زهداً وورعاً مع ان شعره يدل على تحريمه أكل الحيوان ثم اعتذر بفقره فلما عرضت عليه الثروة رفضها ولم يزل داعي الدعاة يلح عليه حتى كانت بينهما مشاكسة مات بعدها أبو العلاء بقليل »[٢].

وكذلك تأثر أبو العلاء بالهنود في إنكار النبوة ، قال الدكتور طه حسين في هذا الصدد « أبو العلاء كان منكر النبوات جاحداً لصحتها وقد نص على ذلك في اللزوميات صراحة أكثر من مرة . فطوراً يثبت أنها زور ويكتفي بانكار

---

(١) دكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٨٩ .

(٢) دكتور طه حسين : ذكرى أبي العلاء ص ٤٠٦ .

النبوات حتى أنكر الديانات عامة وزعم أنها للعقل مخالفة وعن شرعته صادفة يسلك في ذلك مسلك التورية مرة والتصريح مرة أخرى فيقول :

ان الشرائع ألقت بيننا احناً وأورثتنا أفانين العداوات
وهل أبيحت نساء الروم عن عرض العرب إلا بأحكام النبوات [١]

اننا رأينا في الصفحات الماضية كيف تسربت بعض العقائد الهندوسية إلى بعض المتصوفين المسلمين والشعراء ولكن الدكتور أبو العلاء العفيفي يرفض أي تأثير للعقيدة الهندوسية في الفكر الاسلامي بقوله « ولا يوجد من الناحية التاريخية ما يؤيد أي اتصال بين المسلمين والهند قبل ظهور التصوف . ولم يكتب شيء بالعربية عن الهند قبل اكتماله كما يدل على ذلك كتاب البيروني « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » فان هذا الكتاب الذي كان الأول من نوعه ، ظهر بعد ظهور التصوف بزمن طويل ، والبيروني من العلماء ، الثقات الذين عرفوا الهند ولغتها السنسكريتية وتاريخها وآدابها وفلسفتها » [٢] .

في الحقيقة اني لا أستطيع أن آخذ قول الدكتور / عفيفي مأخذ الاعتبار بناء على الأسباب التالية :

١) ان العلاقات التجارية كانت قائمة بين الهند والعرب قبل الاسلام كما أجمع عليه بعض المؤرخين ولذلك نرى أن بعض قبائل من الهنود استوطنوا في البلاد العربية مثل الزط والميد الأساورة [٣] وهكذا استوطن بعض القبائل العربية في الساحل الجنوبي الهندي .

يمكن لنا أن نعتبر ان هذا أول اتصال بين الشعبين العريقين قبل الاسلام .

٢) ذهب وفد من المسلمين إلى الهند في عصر الرسول ﷺ لرؤية أثر قدم آدم

---

(١) دكتور طه حسين : ذكرى أبي العلاء ص ٣٨٣ .
(٢) الدكتور أبو العلاء عفيفي : الثورة الروحية في الاسلام ص ٦٠ .
(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٦٨ .

عليه السلام كما بينت في التمهيد وبحكم هذا الاختلاط نرى بعض الكلمات الهندية في القرآن والحديث وفي الشعر العربي (١) .

٣) ان الملاقات بين الهند والعرب في العصر العباسي كانت قوية جداً من الناحية الثقافية بسبب عناية البرامكة بنقل العلوم الهندية إلى اللغة العربية كما سأبين في الفصل الثاني .

بناء على هذه الحقائق فان الدارس للتاريخ لا يستطيع أن يقبل قول الدكتور عفيفي أنه لا يوجد هناك أي تأثير لعقيدة الهندوسية في التصوف الاسلامي .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان سؤالاً يفرض نفسه علينا قائلاً هل هناك أي أثر إسلامي في التفكير الهندوسي ؟

ورداً على هذا السؤال يمكن أن يقال ان الأغلبية من المفكرين يرفضون أي تأثير إسلامي أو حتى تأثير أجنبي في التفكير الهندوسي لأن في اعتقادهم أن الهندوسية لم تقبل أية تأثيرات أجنبية .

ولكن في رأيي أن الحق ليس معهم لأن هناك بعض الأفكار الاسلامية البحتة دخلت إلى الهندوسية وتلقت ترحيباً حاداً من زعمائها .

مثلاً يوجد عند الهندوسية نزعتان عن الإله وهما يختلفان عن الآخر تماماً وهما نزعة الوحدانية ونزعة التعدد (٢) .

ان قديسهم Shankar قد دعا إلى الوحدانية بالقوة بين الوثنيين وحاول أن يفرض التوحيد في شرحه لكتاب المقدسي وخلفاء Shankar وهم Ramanuy و Vinnswami و Madhvxa و Nimbarka والذين يتلون التراتيل ، كل هؤلاء كانوا قريبي الشبه بالمسلمين في تأملاتهم وانغام تراتيلهم (٣) .

---

(١) ارجع إلى التمهيد .
(٢) دكتور أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٤ ص ٧ [illegible]
(٣) دكتور احمد شلبي : الفكر الاسلامي منابعه وآثاره ص ١١٠ ، ١٤٠ [illegible]

وهكذا حفلت الأفكار الدينية بجنوب الهند ابتداء من القرن التاسع الميلادي باتجاهات تشير كلها إلى النفوذ الاسلامي وأهم هذه الاتجاهات التوحيد ، وبروز العاطفة والانفعال في العبارات ، والاستسلام للشيوخ المعلمين واحترامهم احتراماً يصل للعشق أو التقديس وبجانب ذلك وضح في الاتجاهات الدينية الهندية تساهل كبير في نظام الطبقات وتطور ظاهر في الطقوس الدينية [1] .

وهكذا الحب الذي تكلم عنه الصوفية المسلمون وجد طريقه للفكر الهندي ولم يكن مقصوراً على حب الانسان لله ، بل امتد إلى حب الانسان للانسان وكان القديسون الهنود الذين ذكرنا أسماؤهم آنفاً عندما يثيرون المناقشات العقلية التي تتصل بطبيعة الإله يستعملون نفس الحوار الذي أثر عن النظام والأشعري والغزالي [2] .

وتوجد هناك فرقة هندوسية تدعى « انكايت » وهم معروفون بشدة قوتهم وأخلاقهم الطيبة وأغلبيتهم موجودون في أعمال بلكام وبيجابوره وهار والراو في ولاية ميسور .

يظهر أن التفكير الاسلامي قد احتل مكاناً بارزاً في عقيدتهم مثــلا انهم نادوا إلى الغاء الطبقات وان العابد الحقيقي وهو يحتل مقاماً كريماً عندهم ، في الحقيقة ان هذا التفكير يطابق تماماً ما نادى إلى القرآن الكريم « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وعلى كل حال فان ما ذكرت آنفاً يثبت أن التفكير الاسلامي قد تسرب إلى الهندوسية كذلك وليس هناك مجال لقول قائل بأن الهندوسية لم تقبــل أية أفكار أجنبية سواء من الداخل أو من الخارج .

(١) دكتور احمد شلبي : الفكر الاسلامي منابعه وآثاره ص ١١١

(٢) نفس المصدر ص ١١١

المناقشات الدينية بين الهندوس والعرب :

ان العلاقات بين الهند والعرب في ذلك العصر قد بلغت إلى حد أنهم كانوا يعقدون المناقشات الدينية بينهم يذكر يحيى المرتضى في شرح كتاب الملل والنحل هذه الرواية التالية التي تشير إلى دعم العلاقات بين الشعبين[1] « لما منع الرشيد من الجدال في الدين وحبس أهل علم الكلام كتب اليه ملك السند : انك رئيس قوم لا ينصفون ، يقلدون الرجال ويغلبون بالسيف ، فإن كنت على ثقة من دينك فوجه إلي من أناظره فإن كان الحق معك اتبعناك وإن كان معي تبعتني ، فوجه اليه قاضياً وكان عند الملك رجل من السمينة وهو الذي حمله على هذه المكاتبة فلما وصل القاضي اليه أكرمه ورفع مجلسه فسأله السمني فقال : أخبرني عن معبودك هل هو القادر ؟ قال : نعم ، قال : فهو قادر على أن يخلق مثله ؟ فقال القاضي : هذه المسألة من علم الكلام وهو بدعة وأصحابنا ينكرونه ، فقال السمني : من أصحابك ؟ فقال : فلان وفلان ، وعد جماعة من الفقهاء ، فقال السمني للملك : قد كنت أعلمتك دينهم وأخبرتك بجهلهم وتقليدهم وغلبتهم بالسيف ، قال : فأمر ذلك الملك القاضي بالانصراف وكتب معه إلى الرشيد : اني كنت بدأتك بالكتاب وأنا على غير يقين مما حكى لي عنكم ، فالآن قد تيقنت ذلك بحضور القاضي ، وحكى له في الكتاب ماجرى. فلما ورد الكتاب على الرشيد قامت قيامته وضاق صدره وقال : أليس لهذا الدين من يناضل عنه؟ قالوا : بلى يا أمير المؤمنين هم الذين نهيتهم عن الجدال في الدين وجماعة منهم في الحبس فقال : احضروهم ، فلما حضروا قال : ما تقولون في هذه المسألة ؟ فقال صبي من بينهم : هذا السؤال محال ، لأن المخلوق لا يكون إلا محدثاً ، والمحدث

---

(١) Dr. Traehand The Islamic Influence oZ Indian Culture P. No. 188

لا يكون مثل القديم ، فقد استحال أن يقال : يقدر على أن يخلق مثله أو لا يقدر « كما استحال أن يقال : يقدر أن يكون عاجزاً أو جاهلاً فقال الرشيد : وجهوا بهذا الصبي إلى السند حتى يناظرهم فقالوا : ان لا يؤمن أن يسألوه عن غير هذا فوجب أن توجه من يفي بالمناظرة في كل العلم : قال الرشيد : فمن لهم ؟ فوقع اختيارهم على معمر (بن عباد السلمي) فلما قرب السند بلغ خبره ملك السند فخاف السمني أن يفضح على يديه ، وقد كان عرفه من قبل ، فدس من سمه في الطريق فقتله » [1] .

وهكذا ان ملك (بلهرا) كان يحب المناقشات الدينية كما جاء في رواية المسعودي « وكان دخولي اليها « كمبهانت » في سنة ثلاث وثلاثمائة والملك بها كان منهزماً من قبل البلهرا صاحب البابكين وكان للبابكين هذا غاية المناظرة مع من يرد إلى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل الملل » [2] .

ترجمة القرآن إلى اللغة الهندية :

أعظم ما أسدى العرب إلى الثقافة الهندية في ذلك العصر من خدمات هي أن بعض علمائهم قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الهندية (لمهروك بن رائق) ملك السور الذي كان كبير ملوك الهندوس في سنة ٢٧٠ هـ وذلك بناء على طلب هذا الملك من عبد الله بن عمر عبد العزيز ملك المنصورة ، وقد أسند عبد الله هذه المهمة إلى رجل عراقي مشهور في الأدب والشعر والذكاء . نشأ في الهند وتعلم اللغات الهندية على اختلاف أنواعها ثم شرح هذا المترجم مبادىء الاسلام لهذا الملك وضع له قصيدة تحتوي على المبادىء الاسلامية فلما قرئت على الملك هذه القصيدة استحسنها وكتب عبد الله بايفاد هذا المترجم إلى بلاطة (أي إلى بلاط

(١) القاضي عبد الجبار بن احمد (فر وطبقات المعتزلة) ص ٤٦ ، ٤٥ ، احمد بن يحيى المرتضى : كتاب المنية والامل في شرح كتاب الملل والنحل ص ٣١ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ١ – ٤٩ .

ملك الهندوس) فلما وفد عليه المترجم أقام عنده ثلاث سنين ، وفي خلال هذه الفترة فسر له القرآن باللغة الهندية وقال المترجم في هذا الصدد « وقد فسرت له سورة يس فلما شرحت له قوله تعالى « قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » كان الملك جالساً على سريره فمشى على الأرض فكأنها قد رشت بالماء وهي ندية فوضع خده على الأرض وبكى حتى تلوث وجهه بالطين . ثم قال له : هذا هو الرب المعبود الأول القديم الذي ليس يشبه أحداً ثم بنى بيتاً لنفسه كان يخلو فيه ويعبد ويصلي سراً مخافة أن يطلع عليه أحد من رعاياه الهندوس ومع ذلك لم يظهر إسلامه [1] .

إسلام بعض الأمراء الهندوس :

يذكر المؤرخ البلاذري أن بلداً يدعى العسفان بين كشمير والملتان وكابل ، وكان له ملك عاقل ، وكان أهل ذلك البلد يعبدون صنماً فمرض ابن الملك فدعا سدنة البيت فقال لهم ادعوا الصنم أن يبرىء ابني من المرض ثم أتوه فقالوا قد دعونا وقد أجابنا إلى ما سألناه ، فلم يلبث الغلام أن مات فوثب الملك على البيت فهدمه وعلى الصنم فكسره ، وعلى السدنة فقتلهم ، ثم دعا قوماً من تجار المسلمين فعرضوا عليه التوحيد فوحد وأسلم وكان ذلك في خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله [2] .

أين تقع هذه البلد في الهند ؟

على حد قول البلاذري أنها تقع بين ملتان كشمير وكابل في الحقيقة لا نجد مثل هذا البلد في تلك المناطق كما ذكرها المؤرخ البلاذري .

(١) بزرك بن شهريار : عجائب الهند ص ٤٠٧ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٢٦ .

ان المستشرق الانجليزي ارنولد والعالم الهندي شبلي نعماني حاولا معرفة هذا مكان هذا البلدفي الهند ولكنهما لم يستطيعا الوصول إلى تحديدها [١] .

وفي رأيي يمكن أن تكون هذا البلد (ايسوان) الذي يقال له سيوان أيضاً الذي يقع بين مدينة دهلي والسند .

وفي خليفة المهدي قد أسلم أمير من أسرة يورس وفي عهد الخليفة المأمون أسلم أمير من المنطقة المتلاصقة بين حدود السند والتبت [٢] .

نشأة بعض العلوم الاسلامية في الهند :

علم الفقه : قد أقبل المسلمون الهنود على مذهب أبي حنيفة منذ دخول هذا المذهب اليها لأن المقدسي الذي زار الهند يقول « ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة رحمه الله ولا بها مالكية ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة إلا أنهم على طريقة مستقيمة ومذاهب محمودة وصلاح وعفة وقد أراحهم الله من الغلو والعصبية والهرج والفتنة » [٣] .

وليس معنى ذلك أن الهنود قد أغلقوا الأبواب على المذاهب الفقهية الأخرى بل ظهر فيهم في نفس الوقت مذهب داود الظاهري وكان إمام هذا المذهب في الهند حينذاك هو أحمد بن محمد وقد رآه المقدسي داودياً إماماً في مذهبه وله تدريس وتصانيف » [٤] .

وقد تولى منصب القضاة في المنصورة والف كتباً قيمة في مذهب داود

---

(١) أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ص ٢٣٣ مكاتيب شبلي ص ١٧ (بالاردية) .

(٢) اطهر مباركبوري : رجال السند والهند ص ٢٠٨ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٨٠ .

(٤) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٤٨٥ .

الظاهري مثل كتاب المصباح الكبير و كتاب الهادي و كتاب المنير [1] .

أما المذهب المالكي فدخل في هذه المنطقة على يدالشيخ آل البركات البربري المالكي الذي وفد إلى جزيرة (مالديب) حينذاك ونشر فيها الإسلام [2] .

أما المذهب الشافعي فقد دخل بفضل التجار العرب الذين كانوا يفدون اليها من شتى الأقطار العربية ولأجل ذلك ما زلنا نجد في مالابار ان المذهب الشافعي هو السائد فيها.

* * *

(١) عبد الحي الحسني : نزهة الخواطر ١ – ٦٥ .

(٢) اطهر مباركبوري : رجال السند والهند ص ٢٢٩ .

وصف الديانات الهندوكية في كتب المؤرخين العرب

يصف ابن النديم بيت مانكير بأنه مملوء بالحجارة الكريمة والذهب والفضة ، وكان الملك يذهب اليه ماشياً ويعود راكباً وكان به صنم تقدم له الذبائح قرباناً ويصف كذلك بيت مولتان بأنه أحد البيوت السبعة وبه صنم من حديد ويحج اليه الناس من جميع أنحاء الهند ولها صنمان يقال لأحدهما جنكت والآخر زمكت وتحج الهند اليها وتحمل اليها القرابين والبخور ، ويصف كذلك بيت أبا يان بأنه بيت يحل به الزهاد والعباد وبه كثير من الأصنام المرصعة بالذهب ان هذا البيت يسمى بيت الذهب وقال قوم آخرون ان بيت الذهب غيره وهو يوجد في أرض مكران والقندهار ولا يصل اليه أحد من العباد والزهاد وهو مصنوع من الذهب .

ويصف بوذا بأنه إنسان جالس على كرسي لا شعر بوجهه مغموس الذقن في الصنم وهو مشتمل بكساء كالمتبسم عاقد بيده اثنين وثلثين .

ثم يصف بعد ذلك بعض الفرق الهندوسية وأصنامها والهنود لهم صنم يقال له مها كال وله أربع أيد كاشر الأسنان وعلى ظهره جلد فيل يقطر منه دماً وباحدى يديه ثعبان فاغر فاه وبالأخرى عصا وبالثالثة رأس إنسان واليد الرابعة مرفوعة وفي أذنيه جنيان ويلتف على جسمه ثعبان ويزعمون أنه عفريت من الشياطين حتى يخاف العباد منه ويرفعون قدره .

وبالاضافة إلى ما تقدم توجد أوصاف لبعض الفرق الهندوسية ومنها الدنكتية وهم عباد الشمس واتخذوا لهم صنماً على عجلة تقودها أربعة أفراس ويزعمون ان الشمس ملك الملائكة وهو يستحق العبادة والسجود فهم يسجدون لهذا الصنم

ويطوفون حوله ويأتي اليه المرضى من كل مكان ليبرئهم من أمراضهم ومنهم « الجندربهتكه » وهم عباد القمر ويقولون ان القمر من الملائكة ويستحق العبادة والتعظيم وهم يسجدون له ويعبدونه ويصومون النصف من كل شهر ولا يفطرون حتى مطلع القمر وهم يدعونه لقضاء حوائجهم وعند الانتهاء من الصيام يأخذون في الرقص واللعب .

ومنهم « بكرنتيه » وهم المصفدون بالحديد ومن سنتهم حلق رؤوسهم ولحاهم ولا يتكلمون مع أحد إلا إذا كان من دينهم ومن دخل في دينهم لم يصفد بالحديد إلا إذا وصل هذه المرتبة .

ومنهم « كنكاياتر » وهم متفرقون في جميع أنحاء الهندومن سنتهم انالانسان إذا أذنب ذنباً عظيماً يغتسل في نهر الكنج فيطهر نفسه . ومنهم «الراحمرانية» وهم شيعة الملوك ومن سنتهم القتال في طاعة الملوك ولهم الجنة إذا قتلوا . وهناك فرقة أخرى من سنتهم إطالة الشعر وفتله على وجوههم ولهم جبل يتجهون اليه وإذا انصرفوا من حجتهم لم يدخلوا العمران ولهم في هذا الجبل قبة (١) .

يصف القزويني معبد « سومنات » بأنه في بلدة مشهورة عن بلاد الهند على ساحل البحر وأهل الهند يحجون اليه كل ليلة خسوف ويزعمون ان الأرواح تجتمع عنده بعد مفارقة الأجساد ويدخلها بعد ذلك فيمن يشاء كما هو مذهب التناسخ وأن المد والجزر عبادة البحر له ويحمل الناس اليه كل الهدايا النفيسة (٢) .

ويصف البلاذري الصنم الديبل بقوله « وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل راية حمراء ، إذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور ، والبد فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم ، فيه صنم لهم ، أو أصنام

---

(١) راجع التفاصيل في الفهرست : لابن النديم ص ٣٤٩ .

(٢) قزويني : آثار البلاد ص ١٢٢ .

يشتهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضاً وكل شيء عظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد) [١] .

ويصف صنم الملتان بقوله « وكان بد الملتان بدأ تهدى اليه الأموال وينذر له النذور ويحج اليه السند فيطوفون به ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده ويزعمون أن صنماً فيه هو أيوب النبي عليه السلام » [٢] .

ويصف المطهر بن طاهر المقدسي الديانات الهندوكية بأن في الهند تسع مائة ملة مختلفة منها تسع وتسعون ضرباً ويجمع ذلك اثنان وأربعون مذهباً مدارها على أربعة أوجه ثم يرجع إلى اسمين البراهمة والسمينة والبراهمة ثلاثة أصناف منهم صنف يقول بالتوحيد والثواب والعقاب ويبطلون الرسالة وصنف يقول بالثواب والعقاب على التناسخ ويبطلون التوحيد ثم يصف معتقدات البراهمة الموحدة بأن الله بعث اليهم ملكاً بالرسالة اسمه ناشيد ومنهم أيضاً البابوذية زعموا أن رسولهم يقال له بها بوذا أتاهم في صورة بشر راكباً على ثور أمرهم بعبادة الله وأن يتخذوا على مثاله صنماً يعبدونه . ومنهم « الكاملية » يزعمون أن رسولهم ملك يقال له « شب » أتاهم في صورة بشر أمرهم أن يتخذوا صنماً على مثال ذكر الانسان ويعظموه ويعبدوه [٣] .

ويصف العلامة الشهرستاني الديانات الهندوكية بأنها كثير وآراءهم مختلفة ومنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلاً ومنهم من يميل إلى الدهر ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية [٤] .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦١٣ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦١٨ .

(٣) مطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ٤ — ١٠ .

(٤) الشهرستاني ٢ — ١٢٦٧ .

يصف بزرك بن شهريار عن الزهاد الهندوسي بقوله : « وهم عدة أصناف منهم البيكور وأصلهم من سرنديب وهم يحبون المسلمين ويميلون اليهم ميلا شديداً وهم في الصيف عراة حفاة لا يسترون بشيء وربما جعل الواحد منهم على سوأته خرقة أربع أصابع في مثل ذلك مشدودة بخيط في الوسط ، فهم من يلبسون الازار مرقعاً من كل لون على لون المرقعة الشهرة ويلوثون أبدانهم برماد عظام الموتى من الهند الذين أحرقوا » [١] .

* * *

(١) بزرك بن شهريار : عجائب الهند ص ١١٧ .

الفصل الثـــاني

العلاقـــات الثقـــافيـــة

العلاقـــات الثقافيـــة

يتناول هذا الفصل العلاقات الثقافية بين الهند والخلافة العباسية التي تتمثل في النشاط الثقافي للهنود في بغداد ثم نشاط علماء المسلمين الذين نزحوا إلى الهند وأثر الأدب الهنـدي في الأدب العربي عن طريق حركة الترجمـــة التي نشطت في ذلك الوقت .

النشاط الثقافي للهنود في بغداد :

من النتائج الهامة للفتوحات الاسلامية امتزاج العنصر الهندي بالعنصر العربي وقيامه بدور هام لا يقل عن دور كل من الفرس واليونان في الثقافة الاسلامية .

ومن خلال دراستنا للعصر العباسي نجد النشاط الثقافي للهنود بارزاً في بغداد وقدمت إلى بغداد كثير من النساء الهنديات من السند وكجرات بجنوب الهنـد وعشن في بلاط الخلفاء وامتلأت بهن الأسواق والنـدوات ودخلن بيوت العرب كسيدات ومربيات للأطفال ومطربات وكانت من أشهر تلك الهنديات (خمـار القندهارية) [١] وهذه حكايتها كما روتها خديجة بنت هارون بن عبد الله الربيع « أنها كانت من مدينة قندهار اشتراها جد خديجـة بمائتي الف درهم » وكانت مغنية جميلة الصوت وروى لها صاحب الأغاني ما أنشدت من الأبيات وهي كما يلي:

إذا أسرها امرؤ فيه مسرتي ... قضت لها مما تريد على نفسي
وما مر يوم أرتجي فيه راحة ... فأذكره إلا بكيت على أمس [٢]

---

(١) نسبة إلى قندهار وهي مدينة صغيرة في ولاية بومباي .

(٢) رجال السند والهند ص ١٣٨ .

وهكذا اشتهر من الأدباء والشعراء كثيرون ممن ينتمون إلى الأصل الهندي أمثال أبي عطاء السندي الذي كان شاعراً مخضرماً لدولتي الأمويين والعباسيين وكان أبوه سندياً وابنه هذا نشأ شاعراً في بلاد العرب ولم يكن يفصح الكلام لأثر اللكنة واللثغة في لسانه لكونه سندياً .

وهو القائل :

أعورتني الرواة يا بني سليم ... وأبى أن يقيم شعري لساني

وغلى بالذي أجمجم صدري ... وجفاني بعجمتي سلطاني

إلى آخره .

ولما أمر جعفر المنصور الناس بلبس السواد قال :

كبيت ولم أكفر من الله نعمة ... سواد إلى لوني ودنا ملهوجا

وبايعت كرهاً بيعة بعد بيعة ... مبرهجة إن كان أمراً مبهرجا

وقد كرهه العباسيون لأنه قال كثيراً في مدح الأمويين فلما تحولت الدولة أراد أن يتحول فلم يقبلوا منه فكان يذمهم وفي ذلك قوله :

فليت جور بني مروان عاد لنا ... وليت عدل بني العباس في النار[1]

وكان سندي بين صدى من أشهر الشعراء في المائة الثانية للهجرة يذكره ابن النديم من أشهر الشعراء[2] .

وكذلك كان أبو ضلع السندي من أشهر الشعراء وهو الذي خلف ما يقرب من الف بيت وهو أول شاعر أدخل في الشعر العربي بعض التراكيب الهندية ونظم أبياتاً ذكر فيها البضائع الهندية التي كانت تصدرها الهند إلى بلاد العرب وبهذا تسربت أسماء هذه البضائع إلى اللغة العربية ، قال أبو ضلع :

---

(١) ضحى الاسلام ١-٢٣١ .

(٢) الفهرست ص ٢٢٩ .

لقد أنكر أصحابي وماذلك بأمثل　　إذا ما مدح وسهم الهند في المقتل
لعمري أنها أرضي إذا القطر بها ينزل　　يصير الدر والياقوت والدر لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل　　وأصناف من الطيب يستعمل من ينقل [١]

وكان محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي من نوابغ رجال الأدب والشعر وكان أبوه عبداً سندياً من موالي عبد الله بن العباس بن المطلب كما رواه ابن خلكان كما كان أكثر الناس رواية في الكوفيين وقد تربى على يد المفضل بن محمد بن الضبي صاحب المفضليات إذ أن أمه كانت تحته فأخذ عنه الأدب وكذا في معاصريه العظام مثل آل معاوية بن الضرير وقد ناقش كبار العلماء ولاحظ أخطاء اللغويين قال عنه أبو العباس : شاهدت مجلس ابن الاعرابي يحضره زهاء مائة إنسان كان يملي على الناس ما يحمل على اجمال كأنه له علم غزير في الشعر وقد ترك مؤلفات ضخمة مثل كتاب الأنواء وكتاب تفسير الأمثال وكتاب الألفاظ وغيرها من الكتب » [٢] .

والآخرون من أشهر الشعراء السابقين في هذا الصدد وفيما يلي أسماؤهم :

١) أبو الهندي الكوفي الذي قال :

شربت الخمر في رمضان حتى　　رأيت البدر للشعري شريكا
فقال أخي : الديوك مناديات　　فقلت له : ومايدري الديوكا [٣]

ومنهم :

٢) كشاح بن الحسن بن شاهك الهندي كان يعتبر من فحول الشعراء [٤] .

ومنهم أيضاً :

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني : كتاب الاغاني ١٦-٧٨ .

(٢) رجال السند والهند ص ٢٨٨ .

(٣) رجال السند والهند ص ٢٨٨ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٣٤ .

٣) الحسن بن علي السندي والذي قال فيه الحموي : له شعر مليح فأخذه من لا يخاف الله ونسبه إلى أبي حامد الغزالي فكثر في أيدي الناس لرغبتهم في كلامه وليس للغزالي شعر من تصانيفه [١] .

وكذلك نبغ في المغنين محمد السندي الذي كان معاصراً لإسحاق الموصلي المغني. وقد أورد صاحب الأغاني أبياتاً من شعره :

يا أبا الحارث قلبي طائر ... فاسمع قول رشيد مؤتمن

ليس حب فوق ما أحببتكم ... غير أن أقتل أو أسجن

حسن الوجه نقي لونه ... طيب النشر نبذ المحتضن [٢]

وكذلك ظهر بعض الخطباء الذين كانوا من أصل هندي ومن أبرزهم ابراهيم ابن السندي بن شاهك الذي ذكره الجاحظ في باب أسماء الخطباء والبلغاء وهكذا نجد في العلوم الاسلامية ان الهنود كان لهم نشاط ملحوظ في بغداد مثلاً كان يعتبر « أبو الهندي » من أشهر علماء الحديث أنه روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه وكان أبو معشر نجح بن عبد الرحمن السندي من أشهر التابعين وهو الذي روى عن نافع مولى ابن عمر وهشام بن عروة وغيرهم وتخصص في علم المغازي والسير ونال فيه شهرة كبيرة حتى عد من أئمة المغازي والسير وقد ترجم له العلماء في كتب الطبقات والرجال وأنزلوه مكانة كبرى في علم المغازي .

ولما ذاع صيته في جميع أنحاء البلاد الاسلامية أقدمه الخليفة المهدي من المدينة إلى بغداد فلم يزل بها حتى مات سنة ١٧٠ هـ [٣] ثم بارك الله عائلته وخصهم لخدمة علم الحديث حتى ظهر من أبنائه وأحفاده أئمة الحديث على مر العصور مثل ابنه محمد بن نجيح أبي معشر السندي الذي طلبه المهدي هو الآخر على بغداد [٤].

---

(١) رجال السند والهند ص ١٠٤ .

(٢) رجال السند والهند ص ١٠٤ .

(٣) أبو ظفر ندوي : تاريخ سنده ص ٣٧٢ .

(٤) رجال السند والهند ص ١١٧ .

وكذلك كان عبد الله بن حميد السندي من أئمة الحديث في عصره ألف في الحديث المسند الكبير وكتاب التفسير ومما يرفع مكانته ان مسلم والترمذي رويا عنه الأحاديث وقال فيه البخاري « كان من الأئمة الثقات ».

وإلى جانب هؤلاء العلماء الهنود ظهر في بغداد [1] بعض الهنود الذين ادعوا العلم ووضعوا الأحاديث مثل رتن بن عبد الله الهندي الذي قال فيه الذهبي شيخ ظهر لمدائنه المسرف وادعى الصحبة فسمع منه الجهال ولا وجود له بل اختلق اسمه بعض الكذابين.

وذكر حافظ بن حجر في كتابه (الاصابة) أقوال علماء رجال التاريخ التي تفيد أنه لم يكن صحابياً وان رواياته مختلقة [2].

وفي ميدان الفقه قدمت تربة الهند أعظم شخصية في التاريخ الفقهي وهو الإمام الأوزاعي (المتوفى ١٥٧ هـ) والذي قال عنه الذهبي « سكن في عهده بيروت مرابطاً وبها توفي وأصله من بني السند ».

وقال اسماعيل بن عياش : « انه كان عالم الأمة في سنة ١٤٠ هـ بلا منازع » وقال الخزيني « أفضل زمانه كان يصلح الخلافة وقال الحكم : « الأوزاعي إمام عصره عموماً وإمام أهل الشام خصوصاً [3].

وكذلك كان موسى بن هارون اسحاق الهمذاني من أئمة الحديث والفقه كانت أمه هندية وأبوه نبطياً وكان يفتخر ان أبناء السبايا يمتازون بالقياس والرأي ومنهم ظهر أئمة الفقه الذين ابتدعوا الرأي والقياس مثل ربيعة بالمدينة وعثمان البيتي بالبصرة وأبي حنيفة بالكوفة [4].

---

(١) نفس المصدر ص ١٦٥ .

(٢) ابن حجر: الاصابة ٢-٢١ .

(٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ٢-١٤٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٧٠ .

وظهر بعض العلماء في مذهب المالكية في ذلك الوقت في بغداد مثـــلاً أبي سعيد المالكي الهندي الذي يتردد اسمه وأقواله في معظم الكتب المالكية وكذلك أحمد بن سعيد (ابن الهندي) كان من كبار المالكية [١] .

دخول الشعر العربي في الهند :

ان العلاقات بين الهند والخلافة العباسية بلغت قدراً كبيراً من القوة حتى جاء وفد من أعلام الأدب والشعر إلى الهند أمثال : موسى بن يحيى البرمـــكي أحد رجال الدولة العباسية الذي كان مع غسان بن عباد في أرض الهند قال ابن خلكان نقلاً عن المأمون :

لم يكن كيحيى بن خالد و كولده أحد من الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة ولقد صدق القائل حيث يقول :

أولاد يحيى أربع　　　كأربع الطبائع
فهم إذ اختبرتهم　　　طبائع الضائع [٢]

وهؤلاء كانوا أول من أشعل الملكات الشعرية والأدبية مما أدى الى ظهور أدباء وشعراء في اللغة العربية من أبناء الهند أنفسهم وفي ذلك جاء قول المسعودي الذي زار الهند في كل تلك الآونة كان هناك رجل بالملتان في أرض السنـــد يدعى هارون بن موسى مولى (الأزد) وكان شاعراً شجاعاً ذا رياسة في قومه ومنعه بأرض السند .

وفي إحدى المعارك مع الهنود قال أبياتاً يصف فيها انتصاره منها :

أليس عجيباً بأن تلقه　　　له فطن الاسد في جرم فيل [٣]

إلى آخره .

---

(١) رجال السند والهند ص ٥٦ .
(٢) أبو الحي الحسني : نزهة الخواطر ١ — ٦٢ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ١-٢٣٩ .

ونجد في هذه القصيدة أسماء طيور وحيوانات لم تكن موجودة في البـــلاد العربية مثل العندليب وهو طائر صغير يوجد في الهند ولا يزال يتغنى به شعراء الهند. والزندبيل وهو العظيم من الفيلة .

وهذه الموضوعات الهندية التي طرقها الشعراء الهنود في شعرهم العربي قد نالت إعجاب الشعراء العرب فهم بدورهم قد قالوا الشعر في هذه الحيوانات وأضافوا إضافات جديدة إلى الشعر العربي ومن ذلك قول المسعودي .

وقد ذكر بعض الشعراء في هذا المعنى الزندبيل عند ذكره للفيل فقال:

ذاك الذي مشفره طويل وهو من الأفيال زندبيل

وقال آخر :

وفيله ذو الطول زندبيل

وذكر عمرو بن الجاحظ في كتـاب (الحيوان) هذه القصيـدة وفسر بعض أبياتها وذكر في معنى الخنشبيل :

العشاء بأذنابهـا وفي مدار الأرض عنها فصول
ويشبعها المص مص الثرى إذا جاعت الشاة والخنشبيل[1]

ثم اشتهر بعده في هذا المجال مسعود بن سعد سليمان اللاهوري (المتوفي سنة ٥١٥ هـ) الذي ولد وتربى في لاهور ودرس فيها على كبار العلماء فقال الشعر في كل من اللغة العربية والفارسية والهندية كان أصله من همذان خرج أبوه سعد منها إلى الهنـــد ودخل لاهور في عصر الدولة الغزنوية واتصل بالسلطان ابراهيم ثم استوطن لاهور وفيها ولد هذا الشاعر كان مسعود شاعراً مجيـداً ويتقن ثـلاث لغات وهي العربية والفارسية والهندية وله ثلاث دواوين في هذه اللغات الثلاث يتداولها شعراء الهند وإيران ولم يبلغ أحد من شعراء العجم مبلغه في حسن المعاني ولطف الألفاظ .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ص ٢٤٠ .

ومن شعره الجيد في العربية ما أورده رشيد الدين الوطواط في حدائق السحر.

ثق بالحسام فعهده ميمون واركب وقل للنصر كن فيكون

ومنه هذه القطعة في التورية :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت اليه والظلام كأنه على العين غربان من الجو وقع
فقلت لقلبي طال ليلي وليس لي من الهم منجاة وفي الصبر مفزع
أرى ذنب السرحان في الجو طالعاً فهل ممكن ان الغزالة تتطلع

وقد ذكر الأديب صابر السنائي والحكيم جمال الدين عبد الرزاق في أشعارهم وأثنوا عليه ثناء جميلا (١) .

حركة الترجمة :

كان الخلفاء العباسيين حريصين على الاطلاع على علوم البلدان الأخرى ولذلك نشطت حركة الترجمة لنقل العلوم إلى اللغة العربية ولعبت أسرة البرامكة دوراً هاماً في هذا الصدد ، وعنوا عناية تامة بنقل العلوم الهندية إلى اللغة العربية .

الطب :

من المعروف أن بعض الكتب في فن الطب ترجمت من السريانية واليونانية إلى اللغة العربية في العصر الأموي (٢) ولكن عندما ندخل في العصر العباسي نجد عناية الخلفاء العباسيين أكثر من سالفيهم . ان كتب التاريخ تؤكد لنا أن الخليفة هارون الرشيد طلب الطبيب منكه الهندي إلى بلاطه لعلاجه حتى تحسنت صحته ، يقول ابن النديم أن البرامكة عينت مسؤولاً كبيراً من أطباء

(١) أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين : أبجد العلوم ص ٨٩٠ .
(٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص .

الهنود هو ابن دهن لمشقاه (١) وأن هذه الأسرة لم تتوقف عند هذا الحد بل بعث يحيى بن خالد البرمكي مبعوثه الخاص إلى الهنـد لكي يحضر بعض المعلومات عن الأدوية الهندية (٢) وهكـــذا عين طبيب منكـــه لكي يترجم بعض الكتب السنسكريتية في الطب إلى اللغة العربية (٣).

يقول المؤرخ الانجليزي زخاوان أن الخليفة الموفق بالله بعث بعض الناس إلى الهند لكي يبحثوا عن بعض الأدوية الهندية (٤).

ان كتب التاريخ تؤكد لنا أن بعض الكتب السنسكريتية في الطب ترجمت إلى اللغة العربية في ذلك العصر ومنها :

١) ششرت الذي يسميه العرب (سسرو) ان هذا الكتاب يشتمـــل على عشرة أبواب يتضمن فيه آثار الأمراض وعلاجها وقد ترجمه الطبيب منكه إلى اللغة العربية بناء على طلب يحيى بن خالد البرمكي.

وان الكتاب الثاني الذي ترجم إلى اللغة العربية مؤلفه الطبيب الهنـــدي « جرك » الذي كان يعتبر طبيباً حاذقاً في الطب الهندي ان هذا الكتاب ترجم أولاً إلى اللغة الفارسية ثم نقله عبد الله بن العلي من الفارسية إلى العربية (٥).

أما الكتاب الثالث الذي ذكره ابن النديم فهو (سندستان) معناه صفوة وذكره المؤرخ اليعقوبي (سندهشان) معناه صورة النجاح وقد ترجمه ابن دهن إلى اللغة العربية (٦).

---

(١) ابن النديم ص ٢٤٥ .

(٢) ابن النديم ص ٣٤٥ .

(٣) ابن النديم ص ٣٤٢ .

(٤) Zakhow History of Indie

(٥) ابن النديم ص ٤٢١ .

(٦) ابن النديم : الفهرست ص ٣٠٣ ، اليعقوبي ١ – ٧٥ .

أما الكتاب الرابع ذكره اليعقوبي باسم (ندان) يشتمل على أربعمائة وأربعة أمراض وآثارها [١] ولكن المؤرخ ابن النديم لم يشر إلى هذا الكتاب وقد ترجم الطبيب الهندي منكا كتاباً عن العقاقير الهندية لسليمان بن اسحاق [٢] وهناك كتاب آخر ترجم إلى اللغة العربية يتضمن بعض الأدوية الهندية واليونانية وتأثير قوتها في الصيف والشتاء وهكذا يشتمل ببيان تقسيم السنة على حسب الطقوس [٣].

ان المؤرخ ابن النديم ذكر كتاباً آخر (ايتانكر) ترجمه ابن الدهن وهناك كتابان للطبيب الهندي (نوكشتل) احدهما يتضمن ذكر مائة مرض وعلاجها وثانيهما يتضمن ذكر توهم الأمراض وأسبابها وهناك كتاب للطبيبة الهندية رؤسا الذي يتضمن ذكر أمراض النساء ، وكتاب في علاج أمراض الحمل و كتاب في العقاقير الهندية وهناك كتاب ترجم إلى العربية في مرض السكر [٤].

ان المؤرخ المسعودي يذكر كتاباً آخر ألف لأمير كورش يتضمن ذكر الأمراض وأسبابها وعلاجها و كيفية معرفة هذه الأدوية ونجد فيه صور العقاقير [٥].

يذكر المؤرخ ابن النديم كتاباً في أدوية السيال باسم الأطري الذي يمكن نسبتها إلى الطبيب الأطر [٦].

هناك كتاباً آخر في علم السم الذي ترجم إلى اللغة العربية ولكن اسم الكتاب واسم المؤلف غير معروفين [٧].

يقول المؤرخ السيد سليمان الندوي أن العالم الهندي شاناق ألف كتاباً في علم

---

(١) اليعقوبي ١ — ٧٥ .

(٢) ابن النديم ص ٣٠٣ .

(٣) اليعقوبي ١-٧٥ .

(٤) ابن النديم ص ٣٠٣ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ١ — ١٦٤ .

(٦) ابن النديم ص ٤٢٤ .

(٧) ابن النديم ص ٣١٧ .

السموم يشتمل على خمسة أبواب وان الطبيب الهندي منكه ترجمه بمساعـدة أبي الحاتم البلخي في اللغة الفارسية ليحيى بن خالد البـــرمكي ثم ترجمه عباس بن سعيد للخليفة المأمون باللغة العربية (١) .

وهكذا نجد بعض الكتب في السياسة والحرب في اللغة الهندية لعالمين هنديين وهما شاناق وباكهرا . ان كتاب شاناق يدور في سياسة الحرب وكيفية انتخاب الملوك ومعاونيهم وهكذا خصص فيه باب عن الأكل والسم وان كتاب باجهر يدور عن فراسات السيوف ونسقها وصفاتها ورسومها وعلامتها (٢) .

وهناك كتاب آخر في أدب الملوك ترجمه أبوصالح بن شعيب من السنسكريتية إلى العربية (٣) .

يذكر المؤرخ ابن النديم أن هناك كتاباً في المنطق (كتاب حدود المنطق الهند) ترجم إلى اللغة العربية وأن المؤرخ اليعقوبي ذكره باسم آخر هو (طوفا في علم حدود المنطق) . ولكن هناك سؤال هل هذا الكتـــاب في علم المنطق المعروف (Logic) أو المراد من المنطق معناه اللغوي ؟

يظهر من كلام ابن النديم ان هذا الكتاب كان في المنطق بمعناه اللغوي لانـه ذكر هذا الكتاب من ضمن الخرافات والاسمار والاحاديث (٤) .

ان علم التنبؤ يوجد في الهند منذ أقدم العصور ولذلك يحتل هذا الفن مكاناً بارزاً في الكتب العربية . يقول المؤرخ ابن النديم في هذا الصدد « وللهنـــد خاصة علم التوهم » ولها في ذلك كتب قد نقل بعضها إلى العربي » (٥) .

---

(١) مقالات السيد سليمان الندوي : ص ٧١ ، (بالاردية) .

(٢) ابن النديم ص ٤٣٧ .

(٣) Eliat History of India Volume 1 P. No. 112

(٤) ابن النديم ص ٣٥٣ واليعقوبي ١-٤٢٤ .

(٥) ابن النديم ص ٢٤٠ .

وهكذا فان هناك بعض الكتب في علم النجوم ترجمت إلى اللغة العربية . ان المؤرخ ابن النديم يذكر أربعة كتب لعالم هندي في هذا الصدد :

١ – كتاب النوادر في الأعمار .

٢ – كتاب أسرار المواليد .

٣ – كتاب القرانات الكبرى .

٤ – كتاب القرانات الصغير يقول ابن أبي أصيبعة ان هذا الكتاب الف في علم الطب ولكن في رأيي يمكن أن يكون هذا الكتاب متداخل بين هذين العلمين.

ان ابن أبي أصيبعة يذكر لهذا العالم كتابين آخرين وهما :

١ – كتاب التوهم .

٢ – كتاب في أحداث العالم والدور في القران [١] .

ان المؤرخ ابن النديم ذكر غير هذا العالم الهندي بعض العلماء الهنود الآخرين لهم مؤلفات قيمة في علم النجوم . على سبيل المثال :

١ – جودر الهندي الذي الف كتاباً في المواليد العربي .

٢ – نهك الف كتاباً في المواليد الكبير .

٣ – ضجهل له كتاب في أسرار المسائل [٢] .

وهناك كتاباً آخر ترجم إلى العربية في قراءة علم الكف وكذا نجد كتاباً معروفاً بالزجر الهند [٣] .

وفي هذا المجال لا بد لي أن أشير إلى خدمات البيروني الذي كان عالماً عظيماً من علماء الفلك ورحالة لم يشهد التاريخ مثله والهند تدين له بالكثير ولن تنسى

---

(١) عيون الانباء في طبقات الاطباء .

(٢) ابن النديم ص ٣٨٧ .

(٣) ابن النديم ص ٤٣٦ .

فضله على الفكر الهندي حين وصف الهند وصفاً دقيقاً من الناحية العلمية والأدبية والدينية وكتابه العظيم (تحقيق ما للهند) يعتبر مصدراً هاماً في الدراسات بحيث انه لا يوجد له مثيل حتى في اللغات الهندية .

يقول المؤرخ الانجليزي زخاوان البيروني بعد تأليف كتاب الهند جعل المسلمين يفتخرون به وخلد أقوال السفراء اليونانيين والسواح الصينيين في الهند . ومن ناحية أخرى أظهر حضارة الهند وعلومها القديمة أمام العالم (١) .

ان البيروني قد أسدى خدمات جليلة بنقل العلوم الهندية إلى العربية وبالعكس. وقد الف كتباً للهنود هي ما يلي :

١ - كتاب عن الأسئلة والإجابة لمنجمي الهنود .

٢ - الإجابة عن عشرة أسئلة لعلماء الهند ودفع شبهاتهم .

٣ - مقال عن الاصطرلاب.

٤ - مقال اقليدس.

٥ - كتاب في الفلك .

والكتب التي الفت للعرب هي ما يلي :

١ - كتاب الهند .

٢ - تحقيق الهنود عن كسوف الشمس وخسوف القمر .

٣ - كتاب عن الحساب الهندي .

٤ - كيفية النقوش في تعليم الأعداد (٢) .

٥ - البانشانترا .

---

(١) Zakhow History of India

(٢) سلمان الندوي : مقالات ص ١٨٠

ورسالة يونسكو عدد ١٥٧ مقال بقلم بوجاتي جاروف ص ٨ .

انتقال بعض الألعاب الهندية إلى العرب

ان الشطرنج والنرد من الألعاب الهندية التي انتشرت عنهم في العالم ، وفي ذلك يقول الدكتور أحمد أمين . ولسنا ننسى كما ذهب كثير من الباحثين وهم واضعوا الشطرنج وعنهم انتشر في العالم ومنهم أخذ المسلمون وإن اختلفوا هل أخذوه من الهند مباشرة أو بواسطة الفرس . وللهند في الشطرنج أشكال في اللعب مختلفة حكاها البيروني في كتابه (الهند) وهي تخالف في بعض الوجوه ما هو موجود عندنا اليوم [1] .

يقول المؤرخ اليعقوبي في هذا الموضوع أن هاتين ليست بمجرد لعب بل قامت عليهما أسس عميقة للحساب والهيئة على حد قول اليعقوبي .

يقول اليعقوبي : ان أحد علماء الهند قدم نرد هدية إلى أحد ملوك الهند وبين فيه مسألة الجبر .

ان هاتين اللعبتين تمثلان بعض المدارس الفكرية الهندية فإن لعبة النرد تشير إلى أن الإنسان مجبور محض وان ما يشاءه ودوران الفلك يحدث وان خطوة الانسان التي يتخطاها ليست برغبته ولكن هو مجبور على هذا .

ومن ناحية أخرى فإن لعبة الشطرنج تشير إلى أن كل ما يحدث في العالم يتوقف على جهد الانسان وأن النجاح والفشل يعتمدان على السعي [2] .

ان هاتين اللعبتين وصلتا عن طريق الفرس إلى المسلمين العرب في العصر

---

(١) د . أحمد أمين : ضحى الاسلام ١-١ : ٢٠ .

(٢) اليعقوبي ١-٩٩ .

العباسي ، ولذلك نجد أن الخليفة هارون الرشيد أهدى شطرنج إلى شارلمان[١].

وفي هذا المجال أشير إلى أن الفرس يدعون أن لعبة الشطرنج من نتاجهم وأن أصلها كانت (هشت) ولذلك توجد فيه ثمانية أدراج[٢] ولكن المؤرخين الهنود يقولون أن أصلها (جترنك) أي أربعة أعضاء وهي كلمة هندية بحتة . وغير هذا توجد أدلة قاطعة تشير إلى أن هذه اللعبة من الهند :

أولاً : يوجد فيها صورة الفيل الذي يعد أصلاً من الحيوانات الهندية .

ثانياً : يوجد فيها مركبة (رتهو) وهي مركبة خاصة في الهند وهي غير معروفة خارج الهند على الإطلاق .

ومن ناحية أخرى ان كلمة شطرنج نفسها تدل على أنها محرفة من جترنك ، ثم توجد معنا شهادة المسعودي التي تحدد وقت صنعتها إذ يقول أن نرد صنع في أيام ملك الناهود وأن لعبة الشطرنج صنعت في أيام ملك ايلت[٣] . ان هذا كله يشير إلى أن هاتين اللعبتين من نتاج الهند .

الأثر الهندي في الأدب العربي :

ان الدارس يرى بعض الملامح الهندية في الأدب العربي في ذلك الوقت خصوصاً في القصص العربي . فقد انتقلت عدة قصص هندية إلى اللغة العربية مثل كليلة ودمنة والف ليلة وليلة وقصة سندباد وستحظى هذه القصص ببعض التفصيل .

١) ان كتاب كليلة ودمنة يعتبر من إنتاج الهند وهناك قول عن سبب تأليف هذا الكتاب . ان الهند كانت تواجه الفساد والطغيان ولذلك فوض الملك دابشليم إلى بيدبا أن يكتب كتاباً باللغة السنسكريتية يشتمل على النصح والعبر لكي

---

(١) المسعودي ١-٤٨ .

(٢) اليعقوبي ١-٧٣ .

(٣) المسعودي ١-٤٨ .

يسود السلام والأمن [1] .

من كان هذا الملك ، وكان يحكم على أي منطقة من الهند ؟

ان لدينا بعض القرائن بناء على ذلك يمكن أن تحدد هذا الملك ، وأغلب الظن أنه كان ملك ، (وبهدات) الذي كان يحكم كجرات لأن ابن حوقل كتب عنه (ملك كتاب الأمثال) [2] .

وكان هذا الملك يعرف باسم دابشليم والدليل على ذلك ما يقوله صاحب تاريخ فرشته عندما هاجم محمود الغزنوي كجرات ان الاسرة الحاكمة عن كجرات كانت معروفة بلقب دابشليم [3] .

ومن ناحية أخرى ان المؤرخ اليعقوبي قد أكد أن بيدبا قد كتب هذا الكتاب في عهد دابشليم [4] .

يقول السيد / سليمان الندوي أن بعض المؤرخين الانجليز حاولوا أن يصلوا إلى أصل هذا الكتاب الذي كان مكتوباً باللغة السنسكريتية ولكن هؤلاء المؤرخون فشلوا في هدفهم لأن أجزاء هذا الكتاب في رأيهم كانت منتشرة في الكتب المقدسة الهندية بناء على هذا التحقيق يقول الاستاذ / بونيفي أن كليلة ودمنة ليس كتاباً مستقلاً ولكن عندما ترجم برزديه باللغة الفارسية انه وضع هذه الأجزاء في صورة كتابه المعروف باسم كليلة ودمنة [5] .

قبل أن نرد على هذا الرأي نورد أن الدكتور / أحمد أمين تشكك هو الآخر

---

(١) عليكرا ميكزين (باللغة الاردية) ص ٣٢٠ (١٩١٧) .

(٢) ابن حوقل ص ٢٢٥ .

(٣) تاريخ فرشته ص ٢١٢ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ١-٦٩ .

(٥) عليكرا ميكزين (باللغة الاردية) ص ٣٢١ (١٩١٧) .

في وجود أصل هندي واحد يحتوي على هذه القصص فذكر أن هذه المسألة مثار مناقشة بين الباحثين [1] .

والرأي عندي أن قصص كليلة ودمنة كتاب مستقل له أصل سنسكريتي ترجم عنه مباشرة إلى لغات أخرى وأما وجود بعض أجزاء هذا الكتاب في كتب الهندوس فلا يمكن أن يكون دليلاً على أن هذه القصص لم تكن مستقلة في كتاب كما يزعم بعض كتاب الانجليز إذ يمكن تفسير وجود بعض قصص كليلة ودمنة في الكتب المقدسة الهندوسية بأن الهندوس رأوا فيه فائدة كبيرة فضموا كتابهم المقدس بعض أجزاء من كتاب كليلة ودمنة .

ومما يقف إلى جانب أن قصص كليلة ودمنة كانت مجموعة في كتاب واحد أن الملك أنو شروان قد أرسل من (ينقل الكتاب) لا من يستخلص من بين أجزاء الكتاب المقدس [2] .

وهناك نقطة جديرة بالمناقشة أثارها الدكتور أحمد أمين وهي : هل الترجمة العربية لكليلة ودمنة امتداد للثقافة الفارسية أو امتداد للثقافة الهندية .

ويرى الدكتور أحمد أمين أنها امتداد للثقافة الفارسية لأن الكتاب ترجم من الفارسية مباشرة وأن أسلوب اللغة العربية هو الذي حببه للعرب وأن مترجمه فارسي الأصل ، وأن زيادات أخرى دخلت الأصل الفارسي [3] .

وهذه الآراء يمكن الرد عليها فليست العبرة بالأسلوب ، وإنما التركيز هنا على الأفكار التي تستفاد من القصة وهي مدار الثقافي الهندي .

أما مسألة زيادة المترجم لبعض الأبواب ، فالمعروف أنها قليلة جداً ، وأن أغلب أجزاء الكتاب من نتاج بيدبا .

---

(١) دكتور أحمد أمين : ضحى الاسلام ١-٢١٦ .
(٢) ابن أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ٢-٣٤١ .
(٣) دكتور أحمد أمين : ضحى الاسلام ١-٢٢٢ .

وقد كان لكتاب كليلة ودمنة أثر كبير في الأدب العربي وعني الناس به عناية كبرى ، وحذوا حذوه من ذلك أن كثيرين نظموه مثل أبان اللاحقي وابن الهبارية في كتابه « نتائج الفطنة » وحذا حذوه كتاب كثيرون ، فابن الهبارية ألف على منواله كتاب « الصادح والباغم » وكذلك ألف على منواله « سلوان المطاع في عدوان الطباع » لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم القرشي .

ويذكر كشف الظنون أن أبا العلاء المعري ألف كتاباً اسمه « القائف » على مثال كليلة ودمنة وهو في ستين كراسة ولم يتمه وان له كتاب « منار القائف » يتضمن تفسيره في عشرة كراريس .

وفي « رسائل اخوان الصفا » رسالة في المناظرة بين الحيوان والانسان لا تخلو من لون كليلة ودمنة بل يطلق « جولدزيهر » ان اسم اخوان الصفا مقتبس من كليلة ودمنة إذ ورد الإسم في أول فصل « الحمامة المطوقة » [(١)] .

ادخل هذا الكتاب القصصي على ألسنة الحيوانات للتعبير عن النزعات الإنسانية وما يختلج في الصدور من آراء وأفكار ومبادىء لإظهارها في عصر الاستبداد والظلم والطغيان . ثم أدى إعجاب العرب بهذا الكتاب إلى نظمه بالشعر العربي مثل ابان بن الحميد الذي نظمه للبرامكة شعراً ويحتفظ كتاب الأوراق للصولي بقطع طويلة من هذا النظم الذي يستهله بقوله :

هذا كتاب أدب محنه ... وهو الذي يدعى كليلة ودمنة
فيه دلالات وفيه رشد ... وهو كتاب وضعته الهند [(٢)]

الف ليلة وليلة :

ان كتاب الف ليلة وليلة أعظم مظهر للأدب الشعبي في اللغة العربية منذ

(١) دكتور أحمد أمين : ضحى الاسلام ١ – ٢٢٠ .

(٢) دكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٣٤ .

العصر العباسي إلى قرون طويلة . وقد لعبت الهند فيه دوراً كبيراً منذ بدايته ولذلك نرى فيه ملامح الهند واضحة كل الوضوح بأشكال مختلفة وألوان متعددة. وهناك أدلة كثيرة على وجود الأسس الهندية في الف ليلة وليلة كما نلمس ذلك في مقدمته .

يقول كوسكان ان جزءاً من القصص الشعبية الهندية قد تسربت إلى مقدمته . فقد قسمها كوسكان إلى ثلاثة أجزاء أو مواضع : جزء منها عبارة عن خيانة امرأة لزوجها أو خيانة الملكة للملك . والثاني وهو خيانة الانسية التي خطفها العفريت مما يؤكد خيانة المرأة مهما اتخذ لمنعها من حيطة وحذر والثالث تطوع امرأة لإنقاذ بني جنسها . ثم بين الأدلة كيف أن هذه الأجزاء توجد في صور مختلفة الظاهر متحدة الجوهر في كثير من قصص الأدب الهندي الشعبي » [١] .

وقد اتفق الباحثون في الف ليلة وليلة على أن القصص الهندية قد ظلت مادة خصبة وجوهراً أساسياً في صياغة قصص الف ليلة وليلة كقول الدكتورة سهير القلماوي « فإذا أردنا المصادر القريبة لهذا النوع من القصص في الليالي فإن أهمها : أولاً : الهند ، لقصص الموعظة وسنبين قلق هذا القصص في الليالي وكيف أنه يكون استطراداً لقصة واضح فيها الأثر الهندي .

ثانياً : كتب عربية كتبت عن الحيوان وقد استمدت شيئاً من أجزائها من أصول قديمة أهمها هندي [٢] .

ويحسن بنا أن نقف وقفة يسيرة عند العوامل التي أدت إلى تأثير القصص الهندية في الف ليلة وليلة . ولعل الأدب الفارسي كان أول عامل لتسرب القصص الهندية إلى الف ليلة وليلة [٣] . لا شك فيه أن الأدب الفارسي لعب

---

(١) دكتورة سهير القلماوي : الف ليلة وليلة ص ٤٥ .

(٢) دكتورة سهير القلماوي : الف ليلة وليلة ص ٤٥ .

(٣) نفس المصدر ص ٩٨ .

دور الوسيط في نقل الأفكار الهندية إلى العربية عن طريق غير مباشر ، وكذلك كان الشأن فيما يتعلق بهـذا الموضوع .

تقول الدكتورة / سهير القلماوي « فقد كانت إلى جانب كونهـا مصدراً من مصادر هذه الكتب واسطة هامة في نقل اسمار الهند وغير الهند من الأمم التي عرفتها العرب عن طريق الفرس فتضخم بذلك امدادها للعرب في هذا الميدان . وأصبحت هذه الضخامة هي السبب في إرجاع بعض العلماء وابن النـديم منهم لهذا الفن إلى فارس فنسبوا إلى ملوك فارس تمكينهم لهذا الفن من النمو والانتشار . وهذا ما يفسر لنا « بروز الأثر الفارسي في قصص الليالي واصطباغ الأثر الهندي باللون الفارسي أحياناً . ونظرة إلى أسماء هذه الكتب التي أوردها ابن النديم وإلى الهندية منها بخاصة نجدها كافية في أن نلمح الصلة بين موضوعاتها وموضوعات الليالي . فكتاب في هبوط آدم إلى الارض وكتاب في الرجل والمرأة ، وكتاب بيدبا الفيلسوف وهكذا [١] .

ويحسن بنا الآن أن نبحث في الظاهرة العامة والملامح الواضحة التي تحدد معالم القصص الهندية في الف ليلة وليلة :

١) معظم القصص التي تدور حول السحر ولا سيما قصة الملك رويان والحكيم يونان بواسطة مسحوق رش على ورق الكتاب . ويعلق المستشرق لين على هذه القصة في ترجمته لها قائلاً : ان هذا دليل من أدلة أصلها الهندى لان الكتب في الهند تحفظ بواسطة مسحوق يرش عليها وهذا المسحوق سام [٢] .

٢) والقصص التي تحكي عبادة الشمس هندية الاصل لان الهند كانت توجد فيها فرق دينية منذ أقدم العصور تعبد الشمس كفرقة الدنيكتية [٣] .

---

(١) دكتورة سهير القلماوي : الف ليلة وليلة ص ٩٨ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٧ .

(٣) ذكر ابن النديم هذه الفرقة في باب مذاهب الهند تحت عنوان : ومنهم أهل مـلة الدينكتية ص ٥٠٢ .

٣) والقصص التي تتبلور فيها عقيدة التناسخ هي هندية الاصل : فان اليونان ومصر والفرس قد أخذوا هذه النظرية من الهنود . ولذلك نرى أن جميع القصص التي توحي بفكرة التناسخ هندية الاصل [١] .

٤) قد اشتهرت الهند منـــذ أقدم العصور بروايـــة قصص المواعظ على لسان الحيوان .

قالت الدكتورة سهير القلماوى : فمنذ عبد (بوذا) ومنذ وجد كتاب ينظم عبادته ويدعو إلى الخلق الكريم باسمـــه وجدت مجموعات من القصص الحيواني الذى يعظ ويعلم . وميل الهند كشعب إلى التعليم والحكمة والعظة ميل معروف بشدتـــه ووفرته ، ولعـــل في مجموعـــة (Buddhis Yatakas) (Buddhas Rathosvirtu) الادلة الكافية على كثرة هـــذا القصص الحيواني الوعظي في تعاليم بوذا [٢] .

وبعد هذا الحديث ينبغي لنا أن نحدد ما إذا كانت القصص الهندية ظهرت في ألف ليلة وليلة بصورتها الاصلية أو طرأت تغيرات كثيرة طبقاً لمقتضيات الظروف والبيئة والطبيعة العربية في الحقيقة أن جميع القصص الهندية في ألف ليلة وليلة قد خضعت لمؤثرات عربية أولا وذلك أن القصص الهندية التي كانت تحمل اللون الهندى من الاسماء والاماكن قد حلت محلها أسماء عربية [٣] .

وكذلك أعطوا للحياة الإجتماعية التي كانت تغلب على القصص لوناً عربياً حتى غرقت فيه ومزجت مزجاً صناعياً تتراآى فيه الملامح الهندية وروحها [٤] .

وقصة السندباد ، كما يدل اسمها هندية الاصل نقلت إلى العربية ، قال ابن

---

(١) دكتورة سهير القلماوي : الف ليلة وليلة ص ١٩٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٠ .

(٣) دكتورة سهير القلماوي : الف ليلة وليلة ص ١٠٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٩١ .

النديم « وكتاب سندباد نسختان كبيرة وصغيرة والخلف فيه أيضاً مثل الخلف في كليلة ودمنة والاقرب إلى الحق أن يكون صنفته [1] » .

وقد عدد في الفهرست كتباً كثيرة للهند في الخرافات والأسمار والأحاديث منها كللة ودمنة والسندباد الكبير والصغير وكتاب هابل في الحكمة وكتاب الهند في قصة هبوط آدم وكتاب دبك الهند في الرجل والمرأة ، وكتاب حدود المنطق الهندي وكتاب ملك الهند القتال والسباح وكتاب شاناق في التدبير ، وكتاب بيدبا في الحكمة [2] .

وهناك قصص قصيرة نشرت في الكتب العربية ، مما نقل عن الهند كالذي قاله الجهشياري « ومما استحسنه من شدة ما حكي في كتاب من كتب الهند أنه أهدى إلى بعض ملوكهم حلي وكسوة وبحضرته امرأتان من نسائه ووزير من وزرائه فخير إحدى امرأتيه بين اللباس والحليـة ، فنظرت المرأة إلى الوزير كالمستشيرة له ، فغمزها بإحدى عينيه على أخذ الكسوة ، ولحظه الملك ، فعدلت عما أشار به من الكسوة واختارت الحلي لئلا يفطن الملك للغمزة ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه ليظن الملك انها عادة وخلقة » [3] .

وفي كتاب للهند « ان ناسكاً كان له عسل وسمن في جرة ففكر يوماً فقال أبيع الجرة بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أعنز ، فأولدهن في كل سنة مرتين ويبلغ النتاج في سنين مائتين ، وأبتاع بكل أربع بقرة » الخ [4] .

وهكذا نرى أن القصص الهندية قد احتلت مكاناً بارزاً في كتاب الجاحظ (الحيوان) [5] .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٤ .
(٢) نفس المصدر ص ٤٢٥ .
(٣) الجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب ص١١ .
(٤) ابن قتيبة : عيون الاخبار ١-٢٦٣ .
(٥) الجاحظ : الحيوان ٧-١٧ .

وهناك بعض الأفكار الهندية في البلاغة قد دخلت عند العرب كما يتضح من هذا النص « قال الجاحظ ان معمراً المتكلم قال لبهلة الهندي ما البلاغة عند أهل الهند ؟ فقال بهلة عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أحسن ترجمتها ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها ويلقي المعمر بالصحيفة المترجمة فإذا فيها : أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل الحظ متخيراً للفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة [١] .

يقول الدكتور شوقي ضيف في تعليقه على هذا الكلام : ومعنى ذلك كله ان المتكلمين لم يكتفوا بملاحظاتهم الشخصية في بلاغة الكلام ، بل طلبوا ما عند الأجانب . ويلح الجاحظ وغيره منهم على فكرة مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهي صريحة في الصحيفة الهندية » [٢] .

وقارن التنوخي بين بلاغة الهند وبلاغة العرب ، بأن الأولى مطنبة مسهبة والثانية مختصرة موجزة [٣] .

لقد أثرت الهند في وضع المناهج للقواميس العربية وأول من فعل ذلك الخليل بن أحمد (المتوفى سنة ١٧٥ هـ) قال الدكتور شوقي ضيف ، وقد وضع الخليل معجماً للعربية بترتيب نماذج الحروف متأثراً بالهنود في ترتيب حروف لغتهم [٤] ويساند هذا الرأي ما أورده البيروني : ومن الممكن أن يكون الخليل ابن أحمد سمع أن للهنود موازين في الأشعار كما ظنه بعض الناس [٥] .

---

(١) الجاحظ : كتاب البيان والتبيين ١-٤٠ .

(٢) دكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٣٢ .

(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ١-٥١ .

(٤) دكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٣٢ .

(٥) البيروني : تحقيق ما للهند .

ويبدو من كلام البيروني ان بعض العلماء حتى في عصره كانوا يعتقدون بوجود أثر الهند في الخليل . ولا يستبعد هذا الرأي على ضوء بعض الحقائق التاريخية : لأن ابن النديم – كما وضحت فيما سبق – ذكر عدة كتب هندية أدبية ترجمت إلى العربية منذ عصر مبكر ، ومما يقوى هذا المنطق اننا نجد الخليل قد قسم في كتابه « العين » الحروف الهجائية إلى مجموعات صوتية بدأها بحروف الحلق وختمها بالحروف الشفوية . وهذا الترتيب قد وافق من بعض الوجوه ترتيب حروف الهجاء في اللغة السنسكريتية وإلى هذا الرأى ذهب جرجي زيدان [١] .

ولكن من الغريب جداً أن يرفض الدكتور عبد الله درويش هـــذا الرأى بدون أى دليل ؟ [٢] .

---

(٢) جورجي زيدان : تاريخ الآداب في اللغة العربية ٢-١٢٢ .

(٣) دكتور عبد الله درويش : المعاجم العربية ص ٤ .

مصـــادر البحـــث

أولاً : مصادر عربية :

١ ـ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

٢ ـ دكتور ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥١ .

٣ ـ دكتور أحمد أمين : فجر الاسلام ج ١ ـ مكتبـــة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩ .

٤ ـ دكتور أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ـ مكتبـــة النهضة المصرية سنة ١٩٤٥ .

٥ ـ دكتور أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ـ مكتبة النهضـة المصرية سنة ١٩٥٦ .

٦ ـ دكتور أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ و ٢ و ٣ و ٤ ، مكتبـــة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٦٤ .

٧ ـ دكتور أحمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج ١ ، ٢ ٣ ـ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٦ .

٨ ـ أحمد البشبيشي : الهند خلال العصور .

٩ ـ أحمد بن يحيى المرتضى : كتاب المنية والأمل في شرح كتـاب الملل والنحل ، طباعة حيدر آباد ـ بالهند سنة ١٣١٦ هـ .

١٠ – أطهر مباركبوري : رجال السند والهند – مطبعة حجازية بومباي بالهند سنة ١٩٥٨ .

١١ – أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين : الأغاني جـ ٥ دار الثقافة – بيروت سنة ١٩٥٥ .

١٢ – البيروني : كتاب الهند – طباعة لندن .

١٣ – بزرك بن شهريار : عجائب الهند – طباعة مصر سنة ١٩٣٠ .

١٤ – ابن بطوطة : تحفة النظائر في غرائب الأمصار جـ ١ (مطبعة التقدم بشارع محمد علي) .

١٥ – ابن بطوطة : مهذب الرحلة جـ ٢ – مصر سنة ١٢٧٨ هـ .

١٦ – البلاذري : فتوح البلدان – مكتبة السعادة بمصر ، سنة ١٩٥٩ .

١٧ – ابن الأثير : الكامل – إدارة الطباعة المنيرية .

١٨ – الجاحظ : الحيوان جـ ١ – مصر سنة ١٣٢٣ هـ.

١٩ – الجاحظ : كتاب البيان والتبيين جـ ١ – مطبعة الرغائب سنة ١٩١٠.

٢٠ – جرجى زيدان : تاريخ الآداب في اللغة العربية جـ ٢ – دار الهلال سنة ١٩٥٧ .

٢١ – الجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب – تحقيق مصطفى سقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي القاهرة ١٩٣٨ .

٢٢ – الحاكم : المستدرك جـ ٢ – طبع حيدر آباد – الهند .

٢٣ – ابن حزم : جمهرة الأنساب – دار المعارف سنة ١٩٤٨ .

٢٤ – ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ١ .

٢٥ – ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة – مطبعة السعادة – القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .

٢٦ – دكتور حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي دار الفكر العربي .

٢٧ – د . حسن أحمد محمود : الاسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحتين العربي والتركي – دار النهضة العربية سنة ١٩٦٨ .

٢٨ – أبو الحي الحسني : نزهة الخواطر جـ ١ – طباعة دائرة المعارف – حيدر آباد – الهند .

٢٩ – أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال : تحقيق عبد المنعم عامر – طباعة مصر ١٩٦٠ .

٣٠ – ابن حوقل : المسالك والممالك - باريس سنة ١٨٤٥ .

٣١ – ابن حوقل : صورة الأرض – ليدن باريس ١٩٦٧ .

٣٢ – ابن خردازبه : المسالك والممالك – ليدن بريل سنة ١٩٦٧ .

٣٣ – ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ، ٣ ، ٤ .

٣٤ – ابن رسته : الاعلاق النفيسة – مطبعة بريل ليدن ١٨٩١ .

٣٥ - الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية – من مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية سنة ١٩٧١ .

٣٦ – د . سهير القلماوي : الف ليلة وليلة – دار المعارف ١٩٥٩ .

٣٧ – سليمان : رحلة سليمان التاجر .

٣٨ – السيوطي : تاريخ الخلفاء – دهلي – الهند سنة ١٣٠٩ هـ .

٣٩ – الشهرستاني : الملل والنحل – تخريج محمد فتح الله بدران مطبعة الأزهر سنة ١٩٤٧ .

٤٠ – د . شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي – دار المعارف – القاهرة .

٤١ – د . شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي – دار المعارف – مصر سنة ١٩٦٠ .

٤٢ – صديق حسن خان : ابجد العلوم – طباعة بهوبال النهد .

٤٣ – الاصطخري : كتاب مسالك الممالك – ليدن بريل سنة ١٩٢٧ .

٤٤ – الطبري : ج ٧ ، ٨ – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ومطبعة حلمي – القاهرة سنة ١٩١٥ .

٤٥ – د . طه حسين : ذكرى أبي العلاء القاهرة سنة ١٩١٥ .

٤٦ – عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند – دار العهد الجديد للطباعة سنة ١٩٥٩ .

٤٧ – عباس محمود العقاد : الله – دار المعارف .

٤٨ – ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله – مصر سنة ١٣٢٠هـ .

٤٩ – القاضي عبد الجبار بن أحمد : فرق وطبقات المعتزلة – تحقيق دكتور سامي النشار وعصام الدين محمد علي .

٥٠ – أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الاسلام – دار المعارف سنة ١٩٦٣ .

٥١ – دكتور عبد الله درويش : المعاجم العربية – مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٦ .

٥٢ – تاريخ أبي الفداء ج ١ .

٥٣ – أبو الفداء : تقويم البلدان .

٥٤ – ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١ – مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٤ .

٥٥ – قاضي رشيد بن زبير : كتاب الذخائر والتحف – طباعة الكويت .

٥٦ – ابن فقيه الهمداني : كتاب البلدان .

٥٧ – ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ١ – مطبعة دار الكتب المصرية .

٥٨ – القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ – المطبعة الاميرية سنة ١٩١٦ .

٥٩ – القزويني : آثار البلاد – طباعة دار صادر – بيروت .

٦٠ – محمد الخضري : محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية – مصر سنة ١٩٣٠ .

٦١ – محمد رفاعي : رسالة : إشراف الدكتور أحمد شلبي : الدولة الغزنوية .

٦٢ – د . محمد عبد المنعم الشرقاوي – ملامح الهند وباكستان دار المعارف سنة ١٩٥٢ .

٦٣ – مصعب الزبيري : كتاب نسب قريش .

٦٤ – مطهر بن طاهر المقدسي – البدء والتاريخ ج ٢ مكتبة المثنى ببغداد .

٦٥ – المقدسي : أحسن التقاسيم – ليدن بريل سنة ١٩٦٧ .

٦٦ – المسعودي : مروج الذهب – مطبعة النهضة المصرية ١٣٤٦ هـ .

٦٧ – ابن منظور : لسان العرب ج ١١ – مطبعة بولاق .

٦٨ – ابن النديم : الفهرست – المطبعة الرحمانية بمصر .

٦٩ – ياقوت الحموي : معجم البلدان – مطبعة السعادة ، القاهرة .

٧٠ – اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي – الاجزاء ١ ، ٢ ، ٣ – المكتبة المرتضوية في النجف .

ثانياً : مصادر منقولة إلى العربية :

١ – أرنولد : الدعوة إلى الإسلام – نقله إلى العربية الدكتورين حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين – مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧ .

٢ – أرنولد : الخلافة : نقله إلى العربية جميل معلى – دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر .

٣ – الباب جريجوري : التاريخ وكيف يفسرونه – نقله إلى العربية عبد العزيز توفيق مطبعة الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٧٢ .

٤ – البيهقي : ترجمة الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت – مكتبة الانجلو المصرية .

٥ – جورج فاضلو : العرب والملاحة في المحيط الهندي – نقله إلى العربية دكتور يعقوب بكر – مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٨ .

٦ – جوستاف لوبون : حضارات الهند – نقله إلى العربية عادل زعيتر – مطبعد دار احياء الكتب .

٧ – محمد شريف : الفكر الاسلامي ، منابعه وآثاره – نقله إلى العربية الدكتور أحمد شلبي – مكتبة النهضة المصريةسنة ١٩٧٤ .

ثالثا : مصادر باللغة الاردية :

١ – إعجاز الحق قدوسي : تاريخ مندو – طباعة لاهور باكستان سنة ١٩٧١ .

٢ – أطهر مبار كبوري : غرب وهند عهد رسالت مى ٢ .

٣ – بشير أحمد خان : جغرافية سنده .

٤ – خليق نظامي : (سلاطين دهلي كى مذهب رجحانات) – طباعة الجمعية دهلي – الهند ١٩٥٨ .

٥ – دكتور زاهد علي : تاريخ فاطمي مصر .

٦ – السيد سليمان الندوي : خلافت أور هندوستان – طباعة أعظم كرا بالهند سنة ١٣٤٠ هـ .

٧ – مقالات سليمان الندوي : طباعة هندوستان اكاديمي – إله آباد الهند ١٩٣٠ .

٨ – صباح الدين عبد الرحمن : بزم مملوكية – من مطبوعات دار المصنفين أعظم كرا بالهند .

٩ – أبو ظفر الندوى : تاريخ سنده – من مطبوعات دار المصنفين – أعظم كره – الهند سنة ١٩٧٥ .

١٠ – علي بن حامد بن أبي بكر الكرفي (حج نامه) نقله إلى الاردية خبر رضوى – حيدر آباد – دكن باكستان سنة ١٩٣٩ .

١١ – مكاتب شبلي : من مطبوعات دار المصنفين – أعظم كرا – الهند .

رابعاً : مصادر باللغة الفارسية :

١ – حسن النظامي : تاج المآثر .

٢ – خان بهادر خدا داد : لب سنده .

٣ – ضياء الدين برني : تاريخ فيروز شاه ، ايشائك سوسائي سنة ١٨٦٠ .

٤ – أبو الفضل اثين اكبرى جـ ٢ طباعة دهلي الهند .

٥ – فيروز شاهي : تاريخ ضياء برني – ايشائك سوسائني سنة ١٨٦٠ .

٦ – مبارك شاه : تاريخ فخر الدين – طباعة لندن ١٩٢٧ .

٧ ـــ محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته جـ ٢ ـ طباعة نولكشور ـ لكهناؤ الهند سنة ١٢٨١ هـ .
٨ ـــ مير علي : تحفة الكرام .
٩ ـــ پوهاند عبد الحي حبيبى : افغانستان بعد از اسلام جـ ١ ـ طبع كابل افغانستان سنة ١٩٦٦ .

خامساً : الدوريات :

١ ـــ مجلة الهند : مكتب استعلامات الهند بالقاهرة ١٩٦٦ .
٢ ـــ مجلة ثقافة الهند : مارس ١٩٥٤ .
٣ ـــ رسالة اليونسكو عدد ١٥٧ جـ ٨ بوجان جازوف .
٤ ـــ مجلة زمانه (بالاردية) كانبور يوليو سنة ١٩٣٥ .
٥ ـــ مجلة عليكرا (بالاردية) .

سادساً : مصادر باللغة الانجليزية :

Alfiston History of India (Alisarh India 1918)
Cattrel Lost Cities
Eliat History of India
Hunter Indian Empire
Dr. Habibullah Fondation of Muslim rule In India (London 1945)
Dr. Ishwary Prashad Medival History of India (Allahabad India)
Jawahar Lal Nehru The Discovery of India
Lane Pole Medival India
Dr. Tarachand The Islamic Influence of Indian Culture (Union Printing Press Delhi 1965)
Thomas The Pathan Kings of Delhi (London)
Wright The Coinage Metrology of The Sultan of Delhi 1936
Zakhow History of India .

with Abbasids Caliphs and princes. The Caliphs name to mention usually in religious speaches, people used to pray for his protection and long life. But the last two Emirates were against the Abbasids Caliphs. The Ismailia Emirate had deep relation with them. It is considered that they were KHARJITTES and for that reason Sultan GHAYASUDDIN GHAURI had put an end to this Emirate. After that Makyan became the capital of new Emirate Ghuarites were the followers of Abbasid.

Section III (Period of Sultans).

In this section I mentioned that in the middle of 4th Century Hijri the relation between India and Abbasids were reestablish as example with Mahmoud Ghaznawi, Ghourits, and Mamelukes except Khiljites. Here I explained the reasons which played an important role in reestablishing the relations. These were good relations between India and Takhlikhites. Here I reffered also grief history of thos states which ruled on India. I explained their relations with Abbasids.

CHAPTER 2 (Ideological Relations).

SECTION 1 (Religious Relations).

In this section I discussed with the bilateral religious influences in India & Arabs. Here I mentioned the Hindu mythological thoughts and believes which were adopted by several Muslim mystics (Sufis) as (WAHDATEL WAJOUD). God is present in all thing and the transmigration of soul. Some of Arab poets were strongly empressed by Hindu philosophy. At the same time there was an influence of Islam on Hindu believes also, as monothism, which is the basic principle of Islam, was influenced on Hindu believes at that time.

As a proof here I reffered some religious Symposeums which were arranged on that time and was participated by both Arabs and Hindus. Holy Quraan was translated into Indian language and many Hindu Nobels were converted into Islam in that period.

SECTION II (Cultural Relations).

In this section I discussed with culturised activities of Indian in Baghdad. Entrance of Arabic poetry into India and transfor of Indian literature in Arabic. In these activities Barmecides were on top. Later on I discussed about influence of Indian literuture on Arabic literature several Indian books were translated into Arabic and became popular as KALILA DAMANA, ALEF LAILA WA LAILA,
SINDBAD.

creeds of the country, Budhism and Jainism were become weak in the competation of Hinduism. These were the basic facts which caused and helped Arab Commander Mohamed Bin Qasim to stablish his government in Sindh and Connect with the Omayyad Caliphs.

For the Omayyad period the Governers were being appointed in Sindh continuously. During the last days of Omayyad a remarkable figure came out as a well known politician called Mansour Bin Jamhour. He helped Yazid Bin Walid for killing his brother Yazid II. As a reward of this job he was granted governership of IRAQ. Later on he was seprated, he return to Sindh. Here he took advantages, and exploited with the difficult condition of Omayyad Government up to the begining of Abbasid period.

CHAPTER I (Political relations between India and Abbasid Caliphs). This chapter includes three sections, Section I (Governer's period). In this section I mentioned the political relations which were establish between India and Abbasid Caliphs, begins from the early age of Abbasid foundation Year 132 Hegri up to 271 Hegri. Metawakkel period, there were direct relations, before that the Caliphs used to appoint the Governer. It was his duty to rule in India on behalf of the Caliph, they were just an agent. Caliphs had the right to dismiss them. In this section I discussed about the influences of Muslim culture in India in that period which was remarkable for buildings and developing Taxation system and Judiciary were establish there. Here I tried to give a reasonable answer for those historians who says, «Arab could not left any influence in India during their rule».

After that I mentioned Indian's political activities in Bagdad, top of them were Barmacides. Many Scholors wrote about these activities (among them was the great Indian Scholor sayed Suleman Nadwi). It is said that Bermacides were descendant of Indian Origin.

Section II (Arab Islamic independent Emirates in India).

In this section I mentioned that the relations were compltly disconnected after Mutawakkel period, and there had been establishing several independent states, even those states were free but still the Abbasids were considered the Supreme power and spiritual leaders. The Arab Emirates were as follows :

(1) MAHANIYA (2) HABARYA (3) SAMYA (4) ISMAILIA and (5) MAADANIYA.

The first three Emirates of them had strong relations

Summary of the thesis

This thesis contains an introduction and two chapters. The first chapter contains three sections, and the second chapter contains two sections.

In the case of introduction I mentioned generally the geography of India and especially geography of Sindh, because in begining the Islamic States were established in Sindh.

The general geography of India includes several subjects as, atmosphere ,rivers of India and their effects on agriculture, population and ancient civilization of India. Later on I mentioned the trade relations between India and Arab World, which were established before Abbassid period. Explaining to this matter I mentioned the trade ways, Arab markets where Indian goods were being sold and goods which used to import from Arab World to India. Here I emphasised that, as the result of the trade relations many indian words entered in Arabic language even in Holy Quraan, and Hadith (Prophets Sayings).

In the case of idealogical relations I pointed out the Adolatry of Indians and Arabs. In pre - Islamic period adolatry was in Arab also alike Indians. They both were used to present their conscecates to the ido's. For this purpose were several temples altors holy places, and certain ido's in Arab People and Indians. Here I mentioned the influences also, for which Indians used to respect the KAABAA, after that I discussed about the entrance of Muslim Arabs in India in Islamic period . Here I quoted that, a delegation of Muslim Arab was sent to India at the time of Prophet Mohamed. (Peace be on him). As the proof I gave some reliable references logically we are enforced to accept it I cleared the facts and reasons for which Arabs entered India. Arab Muslims ever attacked on India purposely but there were some reasons which enforced them to do so.

After this I discussed about the relations between Arabs and Indians at the time of Omayyads, I pointed out the real facts for which the Omayyads steped into India.

The entrance of Arab commander Mohamed Bin Qasim in Sindh with Victorious army, the reasons for which Sindh was defeated by Arabs.

At the time when Mohamed Bin Qasim entered Sindh, there was a cruel and unjustice system of rule, was based on class superiority. Some Hindu classes were badly suffering with this system. There was a strong apposition among the several

محتويات الرسالة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة